مدن لها تاريخ

الجزء الثاني

صلاح الدين عبد الغني

الكتاب: مدن لها تاريخ.. الجزء الثاني

الكاتب: صلاح الدين عبد الغني

الطبعة: ٢٠١٨

الناشر : وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكو ر. الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ – ٣٥٨٦٧٥٧٦ – ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.com E-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية
فهرسة إثناء النشر

عبد الغني ، صلاح الدين .

مدن لها تاريخ..الجزء الثاني / صلاح الدين عبد الغني –الجيزة –

وكالة الصحافة العربية، ٢٠٠٨.

تدمك: ٠-٦٩٣- ٤٤٦ – ٩٧٧ – ٩٧٨

أ – العنوان ٢٤٣ رقم الإيداع / ٤٦٦٦ / ٢٠١٨

مدن لها تاريخ

الجزء الثاني

وكالة الصحافة العربية
«ناشرون»

مقدمة

مع مرور الحقب الزمنية المختلفة والمتعاقبة، ظهرت مدن وازدهرت واندثرت أخرى وطمست معالمها، ومع هذا بقيت "المدينة" شاهدا على انتعاش وتطور الحياة الإنسانية في شتى أرجاء المعمورة، وظلت شاهدا – لا يمكن إغفاله – على قيام حضارات الدنيا، وتقدم الأمم نحو مزيد من أساليب رقي البشرية.

إن كلمة "مدينة".. أول ما توحي في ذهن قائلها توحي إلى هذه الكتلات الخرسانية المتلاصقة التي يقطنها عدد كبير من البشر، وتتسم علاقاتها الاجتماعية بالنفعية وغلبة الذاتية، مناطق يعتمد سكانها في الأساس على التجارة ثم الصناعة في كسب قوت يومهم، فالمدينة عند العامة من الناس تقابل القرية التي يسود فيها نمط الاقتصاد الزراعي، ولكن هل تبادر إلى ذهن أحد بعض هذه التساؤلات متى ظهرت المدينة؟ وماذا تعني المدينة؟ وكيف آلت الأمور بكبرى مدن العالم إلى ما هي عليه الآن؟ ولماذا تتميز كل مدينة بطابع خاص عن غيرها؟ وما هي أقم مدن العالم التي لا تزال تحيا بيننا إلى الآن؟

وأسئلة عديدة أخرى تعلق بالأذهان عند قراءة اسم مدينة، نحاول الرد عليها من خلال إبحارنا في تاريخ أعرق وأشهر المدن التي تقف شامخة شاهدة على قيام وانهيار حضارات العالم المختلفة.

تأتي كلمة مدينة في معجم "لسان العرب" على معنين أولهما – تعني الإقامة في مكان معين، وثانيهما – تعني الحصن الذي يبني ويشيد على أرض معينة، وللتعرف على خصائص المدينة عند العرب المسلمين، لابد من الرجوع إلى المحددات النابعة من الفكر الإسلامي ومن نصوصه الأساسية، ففي ذلك يقول النبي ﷺ : "لا جمعة ولا تشويق ولا فطر وأضحى إلا في مصر جامع"، وفي رواية أخرى "إلا في مصر جامع أو مدينة عظيمة"، فتعبير الأمصار هنا بمفهوم المدن التي أطلق عليها العرب تعبير الأمصار، وهنا يتجلى موقف المدارس الفقهية في موضوع المدينة، وتفسيرها الشروط التي ينبغي توافرها في مكان ما كي تكون مدينة، وهو إقامة صلاة الجمعة التي تقام بالمسجد الجامع، وعلى اعتبار أن المسجد الجامع له خصوصية وفقا للمفهوم العربي الإسلامي.

إن تحديد مفهوم المدينة يرمينا مباشرة في أحضان التجربة اليونانية، باعتبارها مؤسسات لها، عبر مفكريها أرسطو وأفلاطون، وقبلهما صولون وبركليس، فلا أحد من القراء والمتتبعين يستطيع نفي هذه الذاكرة، اعتبارا أن المدينة ليست فقط فضاء للتبادل التجاري، بل هي مجال لتبادل الأفكار وإنتاج الخطابة والمنطق، وإنها الفضاء العمودي للتداول والتواصل، كما أن له فعلا ثقافيا يروم التفكير في شؤون المدينة عن طريق المنطق، رغبة في إبداع الشعر والخطابة والعلم والفلسفة .

ظهور المدن

تعددت المحاولات البحثية المنهجية التي حاولت الوقوف على بدء ظهور المدينة بشكلها الحالي، إلا أن نظرية المؤرخ يوسكفوف هي أكثر المحاولات التي اعتقد فيها الدارسون والمؤرخون، حيث يرى في نظريته أن الأشكال الحضرية التي ظهرت في العالم منذ فترة تمتد إلى ما قبل الميلاد، وتصل إلى العصر الحديث، وتبدو في ثلاث موجات حضرية، أولها الموجة الحضرية الأولى وترجع إلى سنة ٤٥٠٠ قبل الميلاد، ممتدة إلى سنة ٥٠٠ بعد الميلاد، ثم تبدأ الموجة الحضرية الثانية – على حسب يوسكوف – سنة ١٠٠٠ لتمتد إلى عام ١٨٠٠، وتتميز هذه الفترة بامتداد المراكز الحضرية واتساع نطاقها، وارتباطها بالنمو الصناعي المكثف، وبعد هذا التاريخ بدأت الموجة الثالثة التي لا يزال العالم يعيش تبعاتها إلى الآن .

فعلى الجانب الأوروبي، تبدأ رحلة تطور المدينة الأوروبية الحديثة عبر تطور كل من المدينة الأوروبية والجماعة في الحياة العملية بها، فقد عاشت أوروبا في القرن الثاني عشر الميلادي ظروفا مستجدة، وذلك نتيجة لمجموعة من التطورات الاجتماعية والاقتصادية بها، فإن النظام الإقطاعي الذي عاشت فيه أوروبا طوال القرون الماضية بدأ يفقد عناصر بقائه، بدأ التجار يبحثون عن وسائل استقرار لأوضاعهم في أوروبا، ومن ثم بدأ بعض التجار باستحداث وسيلة المعارض المجمعة أو السوق كوسيلة عرض للبضائع، وكانت تقام في حمى قصور البنلاء، ومن أشهر هذه الأسواق أو المعارض أسواق "شامبني" بإقليم شامبني بوسط أوروبا، وهذه القصور كانت تأخذ شكل القلاع الحصينة، وذلك لحماية أسرة وحاشية هذا النبيل من غارات منافسيه.

أما المدينة العربية والتي باتت تشكل رهانا أساسيا في المجتمع العربي عامة والمغربي خاصة، لما تشكله الأسئلة المقترحة من داخلها من جعل المدينة أفقا للمستقبل وانخراطا في التحولات العالمية. تشير الدراسات التاريخية المهمتة بفكرة تطور ونشوء المدينة العربية إلى حيوية وأصالة هذه النشأة والتكوين، فالمدينة العربية ليست مقفلة وعناصر التبدل والتغيير موجودة. وفقا للعوامل التي ساعدت على نشوئها، والعوامل التي ساعدت على تبدل أحوالها، فلقد توصلت الدراسات التخطيطية إلى أن المدينة العربية الإسلامية قد مرت في مراحل عديدة من التطور الشكلي والبنيوي، ولكل نوع من المدن له الشكل الهندسي كبغداد المدورة أو المدن ذات النسيج العضوي، مما يدل على أصالة وغنى فن تخطيط المدن عند العرب، ولا ريب أن فن تنظيم المدن لم يكن خافيا على العرب، إذ إن مكة المكرمة – حيث ولد النبي – صلى الله عليه وسلم – ثم دعا لرسالته النبوية كانت منذ زمان بعيد بؤرة تجمع حضري ذات أهمية حقيقة بوصفها نقطة التقاء تجارة القوافل ومركزا للحج.

أنماط المدن

وقد تعددت أنماط المدينة العربية، فنجدها الآن تبدو في أربع صور لها، وهي المدينة المتحركة، تلك التي نتجت عن الحركية التي تسبب فيها تطور وسائل النقل العمومي والخاص، تلك التي غيرت بصورة جذرية مفهوم القرب بين سكان المدن الكبيرة من جهة وبين المناطق الحضرية المنعزله من جهة أخرى، وإذا كانت للحركية عدة فضائل فذلك لأنها أصبحت سريعة، سهلة، عامة، وتسهم في قصر المسافات على المستوى الزمني مسألة القرب التي كانت قديما معقدة جدا، أصبحت الآن مسألة ثانوية مع تقدم الحركية بفضل تعدد وسائل النقل وتطورها.

الشكل الثاني للمدن يبدو في هذه المدن الإقليمية، تلك التي يرتبط مفهومها بعدة عوامل محسوسة ومدمجة في بعضها البعض، وتتعلق هذه العوامل بموضع المدينة نفسه الذي لم يعد يقتصر على رقعة أرضية محدودة المساحة أو محاطة بأسوار أو منطوية حول الكثافة العمرانية، لكن منتشر على كامل الإقليم المحبط به والمتكون من أراض زراعية ومناطق طبيعية، هناك عامل آخر مؤسس على حقائق جديدة، يمكن أن تعطي تعريفا للمدينة الإقليمية، وتكمن هذه الحقائق في إمكاننا اليوم أن نكون خطرا دون أن نعيش في المدينة، وهذا راجع بالأساس إلى تطور وسائل النقل المذكور أعلاه.

مدن متعددة المراكز

ثم يأتي نمط المدينة المتعددة المراكز ليعبر عن الشكل الثالث للمدن، حيث إنه بالرغم من أن جاذبية مراكز المدن العتيقة، لن تندثر ولن تزول مهما كان تطور المدن المتعددة المراكز، لكن ما يبدو الإشارة إليه في تكوين فضاء هذا النمط من المدن هو أن مراكز المدن العتيقة فقدت نسبيا هيمنتها على تنظيم اليهكل الحضري، وهذا راجع إلى تطور المراكز الجديدة الصاعدة، سواء كانت هذه المراكز تجارية أو إدارية أو ثقافية، أو تاريخية أثرية.

زراعة حضرية

أما النمط الرابع للمدن، فهو الذي تعبر عنه هذه المدن الطبيعية أو الريفية، ولا يشير هذا المصطلح إلى تلك المدينة المرتبطة بالمتنزهات والحدائق العمومية ولا المناطق الخضراء المخصصة لتزيين المدن الكلاسيكية وترفيه سكانها، لكنها تعني أساسا الفضاءات الزراعية والطبيعية المحيطة قديما بالمدن العتيقة، لكن هذا لا يعني أن المدينة الطبيعية تمثل نهاية المدينة أو نهاية الطبيعة أو نهاية الاثنين معا، "المدينة الطبيعية"، تعني أن المدينة والطبيعة أو الريف يكونان اليوم إقليما حضريا موحدا، إذن فالطبيعة والمدينة أو الريف والمدينة لا يتضادان كما هو الشأن في الماضي، إنما يتكاملات.

علم الاجتماع الحضري

ولقد ارتبط بالتمدن والحضر بزوغ علوم حضرية لم تكن موجودة من قبل كعلك الاجتماع الحضري، حيث إن معظم الدراسات المبكرة التي عالجت موضوع التمدين كانت تنتمي لعلوم أخرى غير علم الاجتماع الحضري، كالتاريخ والجغرافيا والاقتصاد والسياسة والآثار والفلسفة، حتى الدراسة الأولى التي قدمها أحد علماء الاجتماع، وكانت بمثابة معالجة اقتصادية للباحث الاقتصادي رينيه موريه عنوانها "نشأه المدن ووظائفها الاقتصادية" سنة ١٩١٠م، وكانت دراسته للمدينة دراسة اقتصادية بعيدة عن الحضرية والتحضر.

ثم جاءت البداية الحقيقة لنشأة وتطور علم الاجتماع، كمجال متميز للبحث والدراسة على يد العالم الأمريكي روبرت بارك الذي كانت مقالته عن المدينة سنته ١٩١٥ إيذانا ببدء مرحلة جديدة لقيام فرع جديد ومستقل من فروع علم الاجتماع يرجع أساسا لدراسة المدينة "علم الاجتماع الحضري"، الذي بلغ الذرورة من الأهمية في أواخر العشرينات وأائل الثلاثينات تحت تأثير البرنامج الدراسي الذي وضعه بارك وبيرجسي وزملاؤهما في جماعة شيكاغو، وفي نفس الوقت لعبت ظروف العصر حينذاك دورا مهما في تحديد التوجهات النظرية والتصورية لهذه المدرسة، فقد ظلت التناقضات واضحة بين المدينة والريف في الولايات المتحدة، مما سهل النظرة إلى المستوطنات الحضرية على أنها تمثل شكلا متميزا وفريدا من نوعه عن أشكال التنظيم الاجتماعي ومثلت النظرة إلى المدينة على أنها شكل متميز من أشكال المجتمعات المحلية الإنسانية، اتجاها أساسيا في تراث علم الاجتماع الحضري، حتى التعديلات التي لحقت مجال العلم ومداخل دراسته وأسئلة بحثه كانت انعكاسا واضحا لما طرأ على هذه النظرة من تعديل مستمر.

شيراز: مدينة المساجد والآثار الإسلامية الشامخة

-مكتبتها كانت من أحسن المكتبات والتي حوت نفائس الكتب.

-من أبرز أعلامها الاصطخري صاحب كتاب "مسالك الممالك".

شيراز مدينة إسلامية قديمة كانت قضية بلاد فارس، وهي الآن أشهر المدن الإيرانية، وتبعد عن العاصمة طهران باتجاه الجنوب حوالي ١٥٠٠ كيلو متر.. وسميت شيراز بهذا الاسم نسبة إلى شيراز بن طمهورث، وهي من المدن التي استجدت عمارتها وخطط لها في الإسلام، وقيل إن أول من تولى عمارتها محمد بن القاسم بن أبي عقيل الثقفي.

وقد بنى سورها وأحكم بناءها الملك ابن كاليجار سلطان الدولة بن بوية في سنة ٤٣٦هـ، حيث كانت ذات يوم معقل ملوك بني بوية، وقد فرغ كاليجار من بناء السور سنة ٤٤٠هـ، وكان طوله اثني عشر ألف ذراع، وعرض حائطه ثمانية أذرع، وجعل لها أحد عشرا بابا.

وكان بشيراز مكتبة ضخمة.. وقد وصفت في ذلك الزمان بأنها أحسن المكتبات، فلم يبق كتاب صنف إلى وقته من أنواع العلوم كلها إلا وكان بها، وذلك في عهد عضو الدولة البويهي.. وسميت المكتبة بخزانة الكتب وصنفت إلى صفوت كبيرة، فيها خزائن من كل وجه لحفظ الكتب، وقد ألصق إلى جميع الحيطان والخزائن بيوتا طولها قامة في عرض ثلاثة أذرع من الخشب المزوق، عليها أبواب تنحدر من فوق، وكانت الدفاتر منضدة على الرفوق، لكل نوع بيوت وفهارس فيها أسماء الكتب... وكان في كل مجلس من مجالسها ما يليق به من الفرش والستور، وقد أسهب الرواة في وصف أثاثها ودقة معمارها الفريد، وما حوته من نفائس الكتب.

وقد بنى عضو الدولة البويهي بشيراز دارا كبيرة.. قيل إنه لم ير مثلها في الشرق ولا الغرب، ومن دخلها عمى وفتن بها، ولا عارف إلا استدل بها على نعمة الجنة

وطيبها، وقد تخللتها الأنهار ونصب عليها القباب، وأحاطها بالبساتين والأشجار وحفر بها الحياض وجمع فيها المرافق، فكانت جنة الله في الأرض.

معالم أثرية وتاريخية

ومن معالم شيراز آثارها ومساجدها الإسلامية التاريخية، وبالقرب منها أطلال برسو بوليس المدينة الفارسية القديمة، ونهد الأكاسرة، وهي آخر آثار الحضارة الفارسية، قبل أن تنهض المدينة بخصائصها الإسلامية أيام الفتح العربي لإيران سنة ٦٤٢م، بعد أن كانت حافضة للفريس أو العجم.. وشيراز اليوم تابهي بآثارها وطيب هوائها، وكثرة جنائنها وبساتينها، وما بها من دور وبنايات وعمارة وغلال وفواكه وخضار ومروم وورود وعيون الماء العذب.. كما تشتهر المدينة بصناعتها التقليدية في السجاد الفاخر، وهو من أجود أنواع السجاد في العالم، ومن عوامل شهرة المدينة وذبع صيتها، فضلا عن صناعات أدوات البناء، والأواني الخزفية والنحاسية المنمنمة الموشاة والتي تحمل فنونا مشرقة، كما تقوم شيراز بصناعة أفخر أنواع النسيج والمنسوجات الصوفية والقطنية والكتانية، ولذلك تشهد أسواقها وميادينها حركة دائبة من النشاط التجاري ويبلغ عدد سكانها نصف مليون نسمة.

علماء ومفكرون

وإلى شيراز ينسب جماعة من أهل العلم والفضل والفقة والأدب والشعر. منهم حافظ الشيراز الشاعر والمعروف بالحافظ والمفسر للقرآن الكريم، مات سنة ٧٩١ﻫ وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، والزاهد مات ببغداد سنة ٤٧٦ﻫ، بن له الوزير نظام الملك المدرسة النظامية له كتاب "التنبيه" و"المهذب في الفروع" و"اللمع في الأصول" و"طبقات الفقهاء".. ومن أبرز من نسبوا إلى شيراز الكاتب والشاعر والمفكر مشرق بن مصلح أبو عبدالله سعدي الشيراز، من أعلام القرن السابع الهجري، ومن أكابر الشعراء والعلماء. وقد درس في بغداد بالمدرسة النظامية والمدرسة المستنصرية. ومن أهم آثاره ديوانه الشعري (كلستان) وديوانه الآخر (البستان) وقد ترجم الديوانيين إلى اللغة العربية.

ومـن الأعـلام البـارزين أيضـا الاصـطخري الشـيرازي صـاحب كتـاب "صـور الأقـاليم" و"مسـالك الممـاليـك"، وهكـذا نهضـت شـيراز بـالعلوم الدينيـة والثقافـات المختلفة في كافة أنواع المعرفة، وحفظت معالمها وآثارها قصص الأولين، والتي سطرت بخط مـن نـور الفـتح الإسـلامي لـبلاد إيـران، والمدينـة القديمـة الـتي اشـتهرت بمكتباتها وأعلامها ومساجدها الإسلامية وقبابها ومآذنها العالية لتكون أشهر المدن الإسلامية وأبها في بلاد إيران.

صفاقس: مدينة الزيتون وبوابة تونس على العالم

- ١٥ مليون شجرة زيتون في صفاقس وضواحيها.

- عبق التاريخ يبدو في الآثار الرومانسة والإسلامية.

فـوق ربـوة عاليـة شـيدت مدينـة صـفاقس التونسـية علـى هيئـة مسـتطيل، وأحاطهـا سـور مرتفـع، بنـي فـي عهـد الأميـر أحمـد بـن الأغلب في القرن التاسع الميلادي.
وخلف السور تنصب المدينة العامرة بالآثار والمساجد والبنايات الحديثـة، ويتخللهـا أشـجار الزيتـون وغابـات اللـوز والفتسـق فـي غلالة بيضاء شفيفة، تملأ النفوس بمتعة المشاهدة وجمال الفضة الطبيعية.

وتحمـل صـفاقس تاريخهـا النـابض في ميادينهـا وشـوارعها المعطـرة بـروائح القـدم والأصالة، لتكون بحق من أجمل المدن الإسلامية وأعرقها.

وتعد المدينة مرفا تونسي هام، حيث تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الجنوب من تونس العاصمة، وهي على الطرق الرئيسية المعبدة والحديدية الآتية من العاصمة إلى قابس في الجنوب.

تبعـد صـفاقس عـن العاصـمة بنحـو ٢٧٠ كـم، وهـي ثانيـة المـدن التونسـية في تعداد السكان، حيث يقطنها حوالي ٣٥٠ ألف نسمة.

وسميـت صـفاقس بمدينـة الزيتـون، لأنهـا تضـم أكـبر ثـروة مـن أشـحار الزيتـون في العالم (حوالي ١٥ مليون شجرة)، وبها ٦٠٠ معصرة لعصر الزيتون و٩ مصانع لتعليب زيته وعشرات المعامل لصنع الصابون.

ويسمى الزيتون عند (التوانسة) بالزياتين، وتعتبر صناعاته دعامة اقتصادية هامة في تونس، حيث تستغل شجرة الزيتون في الطعام والتجارة واستخراج الحطب والفحم، واستخدام أوراقها وفضلات الثمار علفا للحيوانات، ويطلق عليها اسم "الفيتورة".

وقد شهدت صناعة الزيوت المستخلصة من ثمار الزيتون تطورا هائلا في هذا القرن، وأدخلت عليها الآلات الحديثة التي ضاعفت من إنتاجية المحصول، ووفرت كثيرا من الوقت والجهد المعمول به في الصناعة التقليدية.

بوابة تجارية

وبهذا تعد صفاقس بوابة تجارية للجمهورية التونسية، لأن الصفاقسة لم يقصورا دورهم على زراعة الزيتون فقط، بل تعددت أنشطتهم الصناعية الناتجة عن الاستثمار الجيد للمساحة الزراعية للأراضي الداخلة في نطاق ولاية صفاقس، والتي تقدر بنحو نصف مليون هكتار، كما أن المراعي والغابات فتصل إلى ١٣٣ ألف هكتار.

وقد نتج عن هذا الاتساع منافسة الأشجار المثمرة للمحصول الرئيسي (الزيتون)، حيث يقوم الأهالي بزراعة الخضار واللوز والفستق، والذي تصل أشجاره إلى حوالي ستة ملايين شجرة تنتج حوالي (١٤٥٠٠ طن)، فضلا عن أشجار البرتقال والليمون والرمان.

ويبقى الزيتون هو المقياس الحقيقي للحركة التجارية في صفاقس، فقد يحدث في بعض المواسم أن يكون العائد ضئيلا من المحصول، وبذلك يتأثر النشاطات والصناعات التحويلية، وإذا كان المحصول وفيرا تحقق الرواج والانتعاش لمدينة الزيتون.

وإذا كان (الزياتين) هو الدعامة الاقتصادية الهامة في تونس والذي تسهم ولاية صفاقس بنصيب الأسد منه فإن الأهالي يعملون في أنشطة أخرى متنوعة وكثيرة، وقد أورد ياقوت الحموي في كتابة "معجم البلدان" أن صفاقس عرفت صناعة النسيج والأغطية الصوفية والبطانية والجبة وغيرها، كما تنهض بها صناعات كبرى، مما أدى إلى وجود ميناء بها لتصدير هذه المنتجات إلى البلاد الأخرى.

وتتنوع البضائع المصدرة من فوسفات وملح وزيت وزيتون وملبوسات، واكتسب الميناء الصفاقس أهميته منذ إنشائه عام ١٩٠٠، وما زال يقوم بدور اقتصادي هام، ويرسوبه عدد كبير من السفن التي تمر به.

عاصمة الصيد

وتعد صفاقس عاصمة الصيد البحري في تونس، ويتكون أسطولها من نحو ١٦٦٠ وحدة صيد ساحلي، و٢٥٧ وحدة صيد أعماق و٢٨ وحدة صيد سمك التونة، وبذلك اكتملت لصفاقس شرايين حيوية وهامة بعد أن جذبت الثروة السمكية الآلاف من العمال إليها للارتزاق منها، فضلا عن الزراعة والصناعات المتنوعة والكثيرة خلف سور صفاقس التي عرفت منذ القدم بأنها مدينة صناعية، وتحدث المؤرخون عن نشاطاتها الكبيرة، وأسهبوا في وصف أسواقها وشوارعها التي تضج بالحركة والنشاط.

وتضم صفاقس العديد من الآثار الرومانسة والإسلامية، ويقع خارجها السور الذي جددت حجارته على فترات زمنية متباعدة، كان آخرها في القرن الثامن عشر.

وقد حرص المجددون للسور أن يحافظوا على تصميمه الأول وهيكله الذي كان عليه في عهد الأمير بن الأغلب، حيث يتكون السور من شرفات ورباطات وأبراج دفاعية مازالت ماثلة للعيون التي تظهر في الشاهد الأثري العتيد، والذي انطوى على مدينة انتسب إليها العديد من العلماء الذين نشروا العلم والفقة، ومنها خرج أبو حفص عمر بن محمد بن إبراهيم البكري الصفاقسي والذي يعرف بالذهبي.

وتضم صفاقس عددا من الأسواق المتعددة والمتنوعة والتي تتجمع حول الجامع الكبير الذي يعود تاريخ بنائه إلى القرن الرابع الهجري (العاشر الميلادي)، ويقع في الشارع الذي يحمل اسمه، ويمتاز بمئذنة هرمية الشكل تتكون من ثلاثة أجزاء مزدانة بشرفات على طراز مئذنة جامع عقبة بن نافع في مدينه القيروان.

وللجامع الكبير قبة جميلة أمام المحراب الذي يمتلئ بزخرفة وكتابات بالخط الكوفي لآيات قرآنية، أما صحن الجامع فهو صغير نسبيا وتحيط به أوراقه لها أبواب خشبية واسعة ومرتفعة تفتح على بيت الصلاة، ويرجع تاريخها إلى القرن الثامن عشر الميلادي، وهي مزينة بنقوش شرقية منمقة.

ورغم التوسع العمراني خارج السوق مازالت المدينة القديمة حافظة لتاريخا وعراقتها والتي تنبعث من مساجدها وآثارها الإسلامية وزخارفها التي تحكي قصة مدينة الزيتون والجامع الكبير.

نيسابور.. صمود بلا حدود!

– فتحت في عهد عمر بن الخطاب ودخل أهلها طواعية في الإسلام.

– والإمام مسلم والشاعر عمر الخيام من أشهر أبنائها.

نيسابور من شهر المدن الإيرنية، ومركز من أعظم مراكز الحضارة الإسلامية في القرون الوسطى، وكانت نيسابور عاصمة خراسان في القدم، وعرفت بمدرستها النظافية، وأسسها نظام الملك، وخربها المغول سنة ١٢٢١م، وتعاقبت عليها عدة زلازل.

وتقه المدينة في أقصى الشمال من البلاد، على الطريق الرئيسية التي تصل طهران بمشهد، وتمر بها سكة الحديد، وتشتهر بزراعتها، وصناعتها المتطورة ولاسيما صناعة الثياب والمنسوجات القطنية والصوفية، وصناعة السجاد، ويبلغ عدد سكانها حوالي ١٠٠ ألف نسمة.. ولنيسابور تاريخ بعيد، فهي مدينة موغلة في القدم، وقيل إنها فتحت أيام عثمان بن عفان، والأمير عبدالله بن عامر بن كريز في سنة ٣١ هـ (صلحا) وبني بها جامعا، وقيل أيضا إنها فتحت في أيام ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، على يد الأحنف بن قيس، وانتقصت (الصلح) في أيام عثمان فأرسل إليها عبدالله بن عامر ففتحها ثانية.

وقد هاجم نيسابور المغول سنة ٦١٨م فنصبوا عليها المناجيق، حتى أخذوها عنوة، فقتلوا كل من كان فيها من كبير وصغير وامرأه وصبي، ثم خربوها حتى ألحقوها بالأرض.. وقد سميت المدينة بذلك الاسم، لأن سابور ملك الفرس مر بها، فقال: يصلح أن يكون ها هنا مدينة، فقيل لها نيسابور

. وقيل: إنه لما فقد سابور، جدوا في طلبه، فبلغوا نيسابور فلم يجدوه فقالوا نسيت سابور، أى ليس سابور، فصارت نيسابور.

إيران شهر

ويطلق على المدينة أسم أبر شهر، واسم إيران شهر، وقيل عنها إنها من المدن العظيمة وأجلها قدرا وأصحها ماء، وأكثرها علماء، وأوسعها أسواقا وأنفسها بساتينا وثمارا وأحذقها صناعة وتجارة، وأعلاها همة ومروءة، ومودة، ولها فضائل جسيمة، وهي معدن الفضلاء والعلماء، وبذلك تفردت نيسابور بين مختلف المدن الإيرنية بالآثار والعمائر والأسواق التي تميزت بالطابع الشرقي الأصيل والهوية الإسلامية، وقيل في مدحها وطيب عوائها وفاكتهتها وخيراتها الشيء الكثير، ومن الذين امتدحوها أبو العباس الزوزني المعروف بالمأموني، يقول فيها: ليس في الأرض مثل نيسابور، بلد طيب ورب غفور. ومازالت صناعتها من الفنون التقليدية التي توارثتها الأجيال، وهي تواصل أنشطتها عبر التطورات الآلية التي استحدثت في السنوات الأخيرة، ومن ثم فقد امتلأت أسواقها بالسجاجيد والثياب والمنسوجات القطنية التي حملت الطابع الإيراني وحصائصه المستمدة من البيئة، والتي لا تخطئها العيون المتفحصة، وملمس الخيوط الحريرية الناعمة.

وتعد هذه الصناعات مصدر رزق وعمل لكثير من أهالي نسيابور، كما أنها تسهم بقدر كبير في تنشيط الحركة الاقتصاية والتجارية للبلاد.

تاريخ قديم

ونيسابور من المدن الإسلامية التي حافظت على تاريخها الموغل في القدم، وأدخلت عليها بعض التجديدات والأبنية الحديثة، ليتزاوج الماضي والحاضر في روعة لا تنتهي.

وقد أخرجت نيسابور المثير من أهل العلم منهم أبو على الحسين بن على بنزيد بن دواد بن يزيد النيسابور، الإمام الحافظ، وحيد عصره في الحفظ والإتقان، مقدم في مذاكرة الأئمة وكثرة التصنيف، سمع بنسابور وهراة ونسا وجرحان ومرو الروز، والري وبغداد وواسط والكوفة والأهوان وأصبهان، ودخل الشام فكتب بها، وسمع بمصر، وكتب بمكة، ثم انصرف إلى بيت المقدس، وكان عقد له مجلس الأملاء بنيسابور سنة ٣٣٧هـ، وتوفي سنة ٣٤٩هـ.

ومن الذين نسبوا إلى نيسابور فريد الدين العطار النيسابوري، قتل سنة ٦٢٦هـ، وأبو على الدقاق النيسابوري، جامع الشريعة والطريقة، والواعظ والمفسر، الذي لقب بالشيخ النائح، لكثرة بكائة ونواحه، ومات سنة ٤١٠هـ.

ومنهم الشاعر والرياضي والفليسوف صاحب "الرباعيات" المشهور، أبو الفتح عمر بن إبراهيم الخيامي النيسابوري المعروف بعمر الخيام.

ومن الذين نسبوا إلى المدينة قديما صاحب صحاح الفقه الجوهري النيسابوري المتوفى سنة ٣٥٠هـ، وصاحب "مجمع الأمثال" محمد بن عبد الكريم الميداني المتوفى سنة ٥٤٨ هـ، ومسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري صاحب الكتاب الشهير في الحديث "صحيح مسلم"، وهكذا استطاعت نيسابور أن تصمد أمام غارات المغول ومحن الزلازل، لتكون من أهم المدن الإسلامية التي حافظت على آثارها وأخرجت العديد من العلماء في كل فروع المعروفة والعلوم الدينية.

حلب.. الشبهاء ذات الأبواب السبعة

- فتحها أبو عبيدة الجراح وأطلق عليها اسم "الشبهاء"

- الحمدانيون اتخذوها عاصمة لهم في القرن العاشر للميلاد

في أرض الشام تنهض الكثير من المدن التي حملت طابعا إسلاميا، رغم أن جذورها تمتد إلى ما قبل الميلاد.
ومن هذه المدن (حلب) المدينة المترامية الأرجاء كثيرة الخيرات، والتي تتميز بطقسها الرائع، وهي ثاني أكبر المدن السورية في تعداد السكان (حوالي مليون نسمة)، وهي مركز محافظة حلب، وتبعد عن دمشق حوالي ٣٥٠كم، وعن الحدود السورية والتركية ٥٠كم.

وحلب مدينة قديمة ضاربة بجذورها إلى قرون طويلة، وقد تعاقبت عليها عهود كثيرة، فهي كانت مملكة مستقلة سنة ١٢٠٠ق .م وذلك بعد انيهار الدولة الحيثية، وحكمها الآشوريون سنة ٧٣٨ ق .م، فاليونانيون سنة ٣٣٣ق.م، فالرومان سنة ٦٥ ق .م ثم دخلها الفرس وخربوها سنة ٥٤٠ق.م، وفي سنة ٦٣٧م صارت حلب بأيدي العرب، وكانت عاصمة الحمدانيين سنة ٩٤٤ م.

وقيل إن اسمها مأخوذ من الحليب، وأن إبراهيم عليه السلام كان يحلب بها غنمه في أيام الجمع ثم يتصدق به فيقول الفقراء: حلب... حلب، فسميت بهذا الاسم، وقيل أيضا إن حلب هو اسم أحد الإخوة الثلاثة من العماليق الذين بني كل منهم مدينة باسمه، أحدها "حلب"، وثانيتها "حمص"، والثالثة "برذعة"، وكانت حلب قديما مسورة بحجر أبيض وفي السور ستة أبواب، وفي جانب السور قلعة، وفي أعلاها مسجد وكنيستان، وفي إحداهما كان المذبح الذي قرب عليه إبراهيم – عليه السلام – وفي أسفل القلعة مغاربة كان يخبئ غنمه، ولا يزال هناك مقامان باسم سيدنا إبراهيم ويزورهما الناس حتى اليوم.

وقيل: إن هذه القلعة هي التي اعتني بها الحمدانيون يوم أن اتخذوا من حلب عاصمة لدولتهم، وهي قائمة اليوم في وسط المدينة، وكان يضرب المثل بها في المنعة والحصانة.

وقد اعتنى بها وجدد بناءها الملك الظاهر غازي بن صلاح الدين يوسف بن أيوب، ولها سبعة أبواب هي باب الأربعين، وباب النصر، وباب اليهود، وباب الجنان، وباب انطاكية، وباب قنسرين، وباب العراق أو باب السر، وكانت حلب تعرف بالشبهاء وفتحها أوب عبيدة بن الجراح بقيادة عياض بن غنم الفهري.

آثار إسلامية

ورغم تعاقب السنون فمازالت حلب تحتفظ بالكثير من الآثار الإسلامية وبمساجدها وعمائرها الضاربة الجذور منذ صدر الإسلامية، وقد زحفت المدينة الحديثة على شوارعها وميادينها، ولكن الوافدين إليها يقصدون مزاراتها الإسلامية وآثارها، ويعبرون عن انبارهم الشديد بروعه البناء الزخارف والألوان المنقوشة على الجدران.

وتعد حلب محطة هامة لقطار الشرق السريع، ومركزا من أهم المراكز الزراعية والتجارية والصناعية، وبها الكثير من البستاتين متنوعة الأثمار، والخضار والفاكهة، وحولها حقول القمح والبقول والكرمة والسمسم والفستق، وفيها عدد كبير من المصانع التي تنتج المواد الغذائية، والحلويات العربية والفاكهة المجففة والزيوت، وتعليب الخضار، وبها مصانع لطحن الحبوب والغزل والنسيج والصناعات المعدنية، وصناعة مواد البناء والصناعات الكيماوية وصناعة التبغ.

وبحلب يمر نهر قويق الذي تنصب مياهه صيفا، ويتحول إلى مستنقعات، وفيها مطار كبير هو مطار النيرب، وعدة مؤسسات مصرفية ومالية وتعاونية وإنتاجية واستهلاكية، كما أن بها جامعة علمية متطورة تتضمن مختلف التخصصات والفروع العملية.

ولقد تغنى الشعراء قديما بذكر حلب وجمالها، ووصفوا قلعتها وجامعها وورودها ورياحنها، ومن هؤلاء أبو بكر محمد بن الحسن بن مرار الصنويري الذي قال:

حلب بدر دجي أنجمها الزهر قراها
حبذا جامعها الجامع للنفس تقاها

أى حسن ما حوته حلب أو ما حواها

وقد خرج من حلب العديد من الفقهاء والعلماء والأدباء والشعراء ومن هؤلاء أبو الفتح بي أبي حصينة، وأبو العباس المكنى بأبي المشكور وغيرهما.

ومازالت حلب منارة إسلامية خفاقة وتحمل شعلة الثقافة والفكر منذ قرون خلت.

حمص: أم الفقير " التي لاينساها التاريخ

- قبر خالد بن الوليد من أهم المعالم الإسلامية بالمدينة.

-أبو فراس الحمداني يكتب شعرا على النصب التذكاري بحمص.

مدينة حمص تعد من كبريات المدن السورية وواحدة من أقدم المدن الإسلامية، اختلفت الروايات حول نشأتها، فبعضها يؤكد أنها مدينة قديمة وكانت بها قلعة محصنة في الجنوب، وأنها اتخذت اسم بانيها ويدعى حمص بن مكنف، وكان من العماليق، بنيما هناك روايات أخرى ترجح بناءها على أيدي اليونانيين.

أما حمص في التاريخ الإسلامي فقد ورد أن فاتحها هو خالد بن الوليد، وقائد آخر يدعى ملحان بن زيار الطائي، وذلك قبل أبي عبيدة بن الجراح الذي استرضى أهلها.

وحمص تقع على الطريق الرئيسي للآتي من العاصمة السورية دمشق، ويمر بها نهر العاصي الآتي من لبنان باتجاه الجنوب مكونا مع الجنوب الغربي منها بحيرة حمص والتي تحمل نفس اسم المدينة، ونهر العاصي يسير عكس كل أنهار العالم، حيث يجري من الشمال للجنوب ويغصل بين مدينة حمص ومدينة حماة.

مسجد خالد

ولأن حمص تدين بفتحها دخول أهلها إلى الإسلام إلى القائد المسلم الباسل خالد بن الوليد، فهناك من المعالم ما يخلد ذكرى هذا القائد، ومنها أن رفاته تتوسط مسجدا يعد هو المسجد الرسمي للمدرينة، ويعرف بمسجد سيدي خالد وأهم ما يميز المسجد مئذنتيه اللتين تقع بينهما عدة قباب في مشهد سماوي بديع، وأمام المسجد حديقة غاية في الروعة والجمال، وتضم ساحة كبيرة لاستقبال أهل المدينة والوافدين إليها أما صحن المسجد من الداخل فهو تحفة معمارية بديعة، والقباب قائمة مع عدد من الأقواس التي تستند بدورها على أربعة أعمدة ضخمة أما نوافذ المسجد فهي مختلفة الأحجام وكلها من الطراز الإسلامي، ويتدفق منها نور الشمس طوال ساعات النهار، ولا يكاد ينقطه وفود المصلين إلى المسجد والذين يحرصون على الوقوف أمام ضريح صاحبه وقراءة الفاتحة للقائد الباسل، ولابنه عبد الرحمن والذي تولى إمارة حمص ما يزيد على عشرين عاما.

وفي مقابل ضريح خالد ضريح آخر مكتوب عليه بخط واضح هذا ضريح الصحابي الجليل، عبدالله بن عمر – رضي الله عنه.

وعمارة المسجد على نمط العماري الإسلامية التركية، وقد بنيت بوابته على غرار بوابة المسجد البوي الشريف، ويعد المسجد مزارا للحجاج وهم في طريقهم البري إلى الأراضي المقدسة بالمملكة العربية السعودية، وبعض الحجاج يعتبرون زيارة الضريح من الطقوس الهامة في رحلة الحج.

وبينما تشكك بعض الروايات القديمة في أن القبر الموجود داخل المسجد هو للقائد خالد بن لوليد وأنها لخالد بن يزيد بن معاوية، إلا أن إمام المسجد الشيح راتب الحصني يؤكد أن القبر يضم رفات خالد بن الوليد والذي دفن في مقبرة صغيرة حتى

عهد الظاهر بيبرس، حتى أقام له الظاهر بيبرس ضريحا وبني حوله المسجد، وكان ذلك عام ٦٥٣هـ، ثم قال السلطان عبد الحميد بإعادة بناء المسجد وتجميلة عام ١٣٦٣هـ، أما فيما يتعلق بضريح عبدالله بن عمر، والكلام لإمام المسجد، فإن هناك شكوكا حولها.

يذكر أن حمص في عصور الإسلام الأولى كانت تضم إحدى العجائي الغربية، حيث كان معلقا على باب مسجدها الكبير صورة لإنسن وأسفلة صورة عقوب، وإذا أخذ أحد من طين أرضها وختم على تلك الصورة فإنه ينجو من لدغ العقرب.

وإلى جانب مسجد خالد بن الوليد تضم أرض حمص العديد من المشاهد الهامة، ومنها مشهد على بن أبي طالب، وبه موضع على عامود يقال إن أثر أصبعه فيه، كما تضم قبر منبر مولى على بن أبي طالب، ومشهدا لأبي الدراداء، وثالث لأبي ذر الغفاري في أبي فراس.

ومن أهم ما تتميز به حمص قبر فارس الشعراء وأمير حمص "أبو فراس الحمداني" والذي ظل مغمورا في الصحارء ما يقرب من ألف عام في بلدته، حتى تم نقل رفاته مؤخرا في موكب كبير حيث دفن في مقبرة تليق به بجوار قلعة حمص الشهيرة، والتي كانت مقرا للحكم في عهدة، وأقيم فوق القبر الجديد نصب سداسي الشكل طولة ٦ أمتار، ومزين بنقوش وسيف ودورع، ومكتوب عليها أبيات من شعره، وتعلو النصب مقاطع متفرقة من "رائيتية" الشهيرة، والتي تحولت أبياتها من فرط الروعة إلى ما يشبه الحكم والأمثال التي يستخدمها العامة.

أما أكثر شار مدينة حمص "روعة " فهو قصر الزهراوي والذي يعود إلى لعصر المملوكي ومحاط بسور مرتفع من الحجر البازلت، وأحد مداخله يقود إلى ممر ضيق

ينتهي إلى ساحة واسعة تطل عليها عدة حجرات وإياون مرتفع عن بقية الفناء والذي يشبه إلى حد كبير "خشبة المسرح" بشكلها الحالي المعروف.

والقصر مكون من طابقين السفلي ويضم قاعات، ونخابئ تعود إلى عصور تاريخية قديمة، وهناك غرفة داخل القصر مازالت محتفظة بزخارفتها الخشبية المحفورة يدويا، وكذلك المنحوتة داخل الجدران والتي كانت تستخدم لحفظ الحلي والمجوهرات وقطع التحف الثمينة وقوارير العطر.

والقصر يقع بالقرب من أسواق المدينة القديمة والتي تنشر بها محلات بيع الملابس، وخاصة الملابس اليديوة النسائية والتي تتميز بألوانها المزركشة.

حمص الحديثة

أما حمص الحديثة والتي تضم حاليا ما يقرب من نصف مليون نسمة، فقد تحولت إلى مدينة تجارية وصناعية وزراعية، ويعد سهل حمص من أخصب الأراضي العربية، ومنذ أقدم العصور عرفت حمص بـ"أم الفقير"، وذلك لرخص أسعار السلع بها بدرجة تتفوق كثيرا على مثيلاتها في بقية المدن السورية، وهو ما ساعد على رواج التجارة بها، وفي مجال الزراعة اشتهرت حمص بزراعة القمح والقطن والشمندر السكري والذرة الصفراء، كما فرت في الفترة الأخيرة كمدينة صناعية ضخمة وازدهرت فيها صناعات الغزل والنسيج والزيت وتعليب الخضر والفاكهة، بالإضافة إلى العديد من الصناعات المعدنية والكيميائية كما أصبحت تضم عددا من المؤسسات التعليمية والمعاهد العلمية مثل كلية الهندسة والتكنولوجيا وكلية عسكرية كبيرة.

وقد عرفت حمص على مدار تاريخها بعدد من الأعلام من أبنائها أو ممن انتسبوا إليها مثل محمد بن عوف بن سفيان أوب جعفر الطائي الحمصي الحافظ، وروى عنه أبو زرعة الدمشقي وأبو حاتم الرازياني وأيو داود السجتاني، وقد توفي عام ٢٦٩هـ، ومنهم كذلك محمد بن عبيد الله بن الفضل المعروف بأبي الفضل الكلاعي الحمصي والذي اشتهر بالزهد والحكمه وتوفي سنة ٣٠٩هـ.

ومازالت مدينة حمص رغم كل مظاهر التحديث تحمل نفس روحها القديمة والتي غازلها الشعراء، وأوصت إلى العديد منهم بأجمل القصائد، ومازالت أحجارها السوداء القديمة توحي إلى كل من يمر بها بماضيها العريق وجهها الإسلامي لم يختف وراء خفة ظل أهلها والنوادر التي تروي عنهم أو يروونها عن أنفسهم.

دمشق.. لؤلؤة الشرق العامرة

-المساجد والأسبلة والأسواق تشهد بعراقة الماضي.

-شهدت أحداثا تاريخية ضخمة وتغنى بها الأدباء والشعراء.

تعتبر دمشق من أقم المدن العربية وأعرقها، فقد كانت قاعدة الآراميين سنة ٩٤٠ق.م، وافتتحها العرب في أول عهدهم، وأصبحت عاصمة الخلافة الأموية، وتوالى عليها العباسيون، فالطولونيون والإخشيديون والفاطميون والأيوبيون والمماليك، وقد دخلها تيمور لفك قائد المغول سنة ١٤٠٠م وأحرقه، ثم أدخلها العثمانيون سنة ١٥١٦ في بداية عهدهم بالسيطرة على الأراضي العربية.

وقد سميت دمشق من الدمشقة، وهي السرعة، لأنهم دمشقوا في بنائها، أى أسرعوا وقيل سميت بدمشق على اسم دماشق بن قاني بن مالك بن ارفشخذ بن سام بن نوح، وقيل إن أول من بنى دمشق هو بيوراسف، وقيل جبرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح، وقد بناها بعد مولد إبراهيم عليه السلام بخمس سنين.

وقيل أيضا: إن بانيها هو عارز غلام إبرهيم، وكان اسمه دمشق فمسيت باسمه، وهكذا تعددت الأقاويل حول أصل تلك المدينة.

وقيل إن أول حائط وضع في الأرض بعد الطوفان هو حائط دمشق وحران، وفي بعض التفاسير أن دمشق هي الربوة في قولة تعالى: "وآويناها إلى ربوة ذات قرار معين" وأن التين في قوله تعالى: "والتين والزيتون" هو الجبل الذي عليه دمشق.

وتعد دمشق جنة الأرض لحسن عمرتها وبهائها ونضارتها وكثرة فاكهتها ومائها، وأجمل ما فيها غواطتها التي لم ير في الدنيا مثلها.

ومنذ زمن بعيد والشعراء والأدباء يتبارون في وصف محاسنها والتغزل بحدائقها وعمائرها، وقال فيها أمير الشعراء أحمد شوقي

"وعز الشرق أوله دمشق"، وقد أفاض صاحب كتاب "نزهة الأنام في وصف محاسن الشام"، في وصف وتعداد أنواع الأزهار الدمشقية وأورد ما قاله الشعراء الأقدميون في وصفها والتغني بجمالها.

ومازالت دمشق تحتفظ بطابعها الإسلامي والأثري، ولم تسمح للعمائر الحديثة أن تزحف على مجدها القديم، حيث تتعدد المزارات التي يفد إليها الزائرون من كل صوب.

مساجد دمشق

ومن أبرز معالم دمشق المساجد، فهناك مسجدا إبراهيم أحدهما في الأشعرين، والآخر في برزه، والمسجد القديم عند القطعية، ويقال إن فيه قبر موسى عليه السلام، ومسجد باب الشرقي، ويقال إن عيسى عليه السلام ينزل فيه، والمسجد الصغير، ويقال إن يحيى – عليه السلام – قتل هناك، والحائط القبلي من هذا المسجد يقال إن نبي الله هود – عليه السلام – هو الذي بناه.

ويعد جامع بني أمية الكبير من أهم مساجد دمشق التي مازالت ماثلة للعيان، وفيه من الحسن والصنعة ما يعد منارة في العمارة والزخارف الإسلامية، ويعود بناؤه إلى عهد الوليد بن عبد الملك سنة ٨٧هـ، ويذكر أن العمل في جامع بني أمية استمر تسع سنين.

وللمسجد أربعة أبواب هي باب جيرون، في الشرق، وباب البريد في يالغرب، وباب الزيادة في اتجاه القبلة، وباب الناطفانيين، ويقال: إن سقفه من الرصاص الخالص، وأنه كان يضم سلسلة تعد بستمائة سلسلة من الذهب.. وقديما قالوا: عجائب الدنيا سبع منها: قنطرة سنجة، ومنارة الإسكندرية، وكنيسة الرها، ومسجد دمشق.. وهو ما جاء ذكره في كتاب المسعدوي "مروج الذهب ومعادن الجواهر".

ومن الآثار والمعالم الدمشقية، توجد العديد من الأسلبة والمساجد والحدائق والعمائر، فضلا عن مغاراة الدم في جبل قاسيون المطل عليها لجهة الشمال، ويقال إنها كانت مأوى الأنبياء ومصلاهم.

أسبلة وحمامات

تشتهر مدينة دمشق بعذوبة مياهها التي تبنع من نهر بردي، كما تضم مجموعة كبيرة من الأسبلة التي مالزالت تؤدي دورها الحيوي في إرواء عطش العابرين والمستوقين، وقد يكون السبيل عدة مناهل حيث يتمكن أكثر من عابر أن يشرب الماء من فتحات المياه.

وترجع هذه الأسبلة لعهود قديمة منذ الأيوبيين والعثمانيين ومنها سبيل "الدرويشة" الذي يقع في الواجهة الشمالية من جامع درويش باشا في الحي الذي يسمى اسمه، وهو قريب من سوق الحميدية الشهير بدمشق، وهو من الأسبلة العثمانية وأنشأه والي دمشق دوريش باشا عام ٩٨٢هـ، ومازال يحتفظ ببهائه حتى وقتنا هذا، حيث زينت واجهته بألواح القيشاني تتوسطها لوحة مكتوبة بالخط التركي القديم، وقد ضاعت ملامحها في اللوحة الرخامية التي تشير إلى مجدد السبيل.

ومن الأسبلة الشهيرة بدمشق السبيل المعلق والذي يقع أمام الجماع المعلق في شارع الملك فيصل بحي العمارة البرازنية في دمشق القديمة ويعود بناؤه إلى نهايات القرن التاسع عشر، وكذلك سبيل زفاف الموصلي الذي يعود تاريخ بنائه للعهد الأيوبي سنة ٦٣٧هـ، ويوجد هذا السبيل على جدران بيت سليم الموصلي سابقا في حي الموصلي بمنطقة الميدان الشهيرة في دمشق، كما توجد أسبلة أخرى مثل سبيل البريدي جامع الشيخ يعقوب.

ومن الأسبلة الطريقه في دمشق سبيل أبو الشامات المصنوع من إطار رخامي بديع، وتعلوه لوحة منقوش عليها أبيات شعرية يقول مطلعها:

حدث عن الساقي القدير وهات صافي الشراب بألطف الكاسات

لمثله هذا السبيل وقصده قد شيداه مظهر الخيرات

ويعود بناء السبيل إلى عام ١٣١٤ م في العصر العثماني.

وإذا كانت العاصمة السورية قد اشتهرت بالمساجد ولأسبلة والأبواب التاريخية، فقد عرفت أيضا الحمامات الشعبية ومازالت حافظة لحو ٣٧ حماما يمتد بناؤها بين القرنين الحادي عشر ولعشرين، ولا يزال بعضها يعمل والبعض الآخر يستخدم لأغراض أخرى.

ومن الحمامات الدمشقية حمام نور الدين وباب البريد وسامي ومنجك ودرب العجم، ويقال إن أصحاب الحمامات كانوا من الميسورين والأغنياء من أهالي دمشق وكان يقدمون على بناء الحمامات ويفحتون أبوابها للناس بالمجان.

أسواق دمشقية

اشتهرت دمشق بكثرة أسواقها التي يعود إنشاؤها إلى الماضي القديم، حيث نشطت فيها حركة البيع والشراء ومازالت حتى الآن تمارس دورها الحيوي والنهام، فهناك سوق الحميدية الهشير الذي يعود تاريخه إلى عام ١٨٦٣ خلال عهد أسواق، مثل سوق مدحت باشا وسوق الأورام وسوق الحدادين وسوق العطارين والسكرية والعجبة وغيرها من الأسواق الدمشقية القديمة التي تنتشر في أزقة وأحياء دمشق.

ويغطي سوق الحميدية بسقف حديدي مليء بثقوب عديدة تضيئها الشمس، وتمتلئ حوانيته بجميع أنواع البضائع كالأقمشة والنحاس والحلويات، والصناعات اليدوية والزخارف.

ومن أبرز الأسواق الملحقة بالحميدية سوق الحرير الذي أنشأه دوريش باشا عام ١٥٧٤ م، وهو قريب من لجامع الأموي ويشتهر ببيع الأقمشة والعطور ولوازم الخياطة النسائية، وهناك أيضا سوق الخياطين الذي أنشأه شمسي باشا عام ١٥٥٣م، ولكل أثر من آثار دمشق حكاية ضاربة بجذورها في عمق الماضي، تروي وقائع وأيام المدينة التاريخية التي مازالت تحمل أصالة حكاية ضاربة بحذورها في عمق الماضي، تروي وقائع وأيام المدينة التاريخية التي مازالت تحمل أصاله الماضي ورونقة، لتكون بحق لؤلؤة الشرق وعزه ومجده

رشيد.. مدينة البطولة والآثار

- اكتشاف حجر رشيد كان نقطة تحول في تاريخ البشرية.

- الطابع الإسلامي يكسو وجه المدينة منذ العصر العباسي.

كل شيء في مدينة رشيد المصرية والتي تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط، وبالتحديد عن نقطة التقاء نهر النيل بالبحر، يؤكد أنها مدينة إسلامية خالصة، بل هي ثاني أكبر المدن الإسلامية المصرية بعد القاهرة الفاطمية.

لقد شهدت المدينة العديد من الأحداث الهامة في تاريخ مصر الحديث، وهناك العديد من الروايات التاريخية التي تؤكد قدم هذه المدينة ووجودها منذ عهود الفراعنة، وذلك من خلال اكتشاف حجر رشيد بها في فترة الحملة الفرنسية.

وأشهر هذه الروايات تقول بأن الملك "نارمر" أو مينا حينما أتى قادما من الصعيد إلى رشيد سعيا وراء توحيد شطري وادي النيل اصطدم بأهل المدينة، وهم طائفة كانت تدعى "رخيتو" وتعني عامة الناس، وهي كلمة قريبة الشبه بكلمة "Rachik" القبطية الأصل، والتي تحولت إلى رشيد فيما بعد.

بينما يرجح بعض المؤرخين أنه مدينة رشيد بنيت على أنقاض مدينة "أبو لبتين القديمة" والتي كانت تعد من الأسواق الرائجة في العصرين الفرعوني واليوناني.

كما تذكر بعض الروايات أنه في عهد الأسرة الفرعونية التاسعة عشر، أقام الملك منفتاح أو (منبتاح) استحكاماته على الضفة الغربية لفرع رشيد، بعدما تعددت عليها هجمات الليبيين والإغريق الصقليين، ويذكر أن أولى المعارك التي انتصر فيها المصريون على أوروبا وقعت على أرض رشيد.

أما التاريخ الحقيقي المكتوب لمدينة رشيد، فقد بدأ في العهد الإسلامي، وقد ورد في "فتوح الشام" للواقدي أن عمرو بن العاص كتب إلى الخليفة عمر بن الخطاب يخبره بفتح "مربوط" و"الإسكندرية" و"رشيد" و"فوه" وغيرها من بلاد الوجه البحري.

الإسلام في رشيد

وقد دخل الإسلام رشيد على يد عمرو بن العاص عام ٦٤١م، وعقد "قزمان" حاكم رشيد القبطي وقتها معاهدة مع عمرو بن العاص، وأدى الجزية ولم تمس يد الفاتحين كنائس الأقباط بسوء، بينما مس الإسلام قلوب معظم أبنائها فأسلموا، وعندما رحب عمرو بن العاص إلى القاهرة فضل بعض من كانوا معه من الصحابة الذين سكنوا في "رشيد" فبنوا المساجد، وكان من بين هؤلاء الصحابة عبدالله بن الصامت، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الطابع السائد للمدينة، والتي شهدت ازدهارا اقتصاديا وعمرانيا كبيرا، خاصة بعد أن أصبحت الفسطاط عاصمة لمصر بدلا من الإسكندرية لتزداد أهمية رشيد.

ومن الحقائق التاريخية المؤلفة أن اكتشاف طريق رأس الرجاء الصالح كان له أكبر الأثر على ازدهار الملاحة التجارية في فرع النيل برشيد.

أما أشهر الروايات التي تتناول تاريخ رشيد فتقول إن رشيد بملامحها الثابته قد تم تأسيسها في عهد الخليفة المتوكل على الله العباسي عام ٨٧٠ هـ، وهي الرواية التي تلقى ارتياحا من جانب كل الباحثين والمؤرخين، حيث إن كل الروايات السابقة مجرد اجتهادات، حيث كانت تعتمد على بعض ما ورد في رسائل أو سطور مشوشة حول مدينة تقع عند ملتقى النيل بالبحر، أما ما يرجح الرواية الثانية فهو انتشار العديد من المساجد والتي تقترب طرازها وتصميمها من المساجد التي تم تشييدها إبان العصر العباشي وما بعدها من عصور لاحقة، والتي يغلب عليها جميعا الطابع الإسلامي، بالإضافة إلى عدد كبير من الأسبلة.

ومن أشهر هذه المساجد مسجد أو مندور أو أبو النضر والذي يحتل موقعا فريدا في المدسنة أعلى تل يعرف باسم المسجد، وهذا التل أشبه بشبه جزيرة مثلثة الشكل، ينحدر في اتجاه النيل ويقع المسجد عند رأس المثلث تماما، ويطل على النيل مباشرة.

ويذكر الرواة أن أبا النضر والذي أطلق اسمه على المسجد قدم من كربلاء، وأن نسبه ينتهي إلى على بن أبي طالب – كرم الله وجهه.

وللمسجد ثلاثة أبواب من الشمال والشرق والغرب، ويرتفع سقفه الخشبي على أربعة أعمدة من الرخام الأبيض المزخرف، كما يحوي حجرة خاصة لقبر صاحب المسجد.

أما أكبر مساجد رشيد فهو مسجد زغلول، والمقام على ٢٤٤ عمودا من الجرانيت والرخام، تحمل فوقها حوالي ٢٠٠ قبة صغيرة، ويسمى بمسجد زغلول نسبة إلى أحد المماليك، ويرجع تاريخ إنشائه إلى عام ١٥٤٥م، وكان مركزا هاما للحركة العلمية والدينية.

ويسجل التاريخ أنه من هذا المسجد صدرت إشارة البدء في مقاومة حملة فريزر البريطانية عام ١٨٠٧ وكانت الإشارة "الأذان"، وترديد نداء الله أكبر، وقد حطم الإنجليز إحدى مئذنتيه، والتي انطلقت منها إشارة الهجوم، بالإضافة إلى عدد كبير من القباب.

آثار رشيد

أما أشهر آثار رشيد فهي القلعة التي بناها السلطان قايتباي عام ١٤٧٢م، لحماية المدينة وهي عبارة عن بناء مربع الشكل من الحجر والطوب الأحمر الرشيدي، وفي كل ركن من أركانها الأربعة برج مستدير.

والقلعة محاطة بعدد من الخنادق وسور كبير، وهي تشبه إلى حد كبير الحصن الداخلي لقلعة قايتباي بالإسكندرية، أما السلطان قنصوة الغوري والذي يعد من آخر سلاطين المماليك فقد سورا حول المدينة لحمايتها من الغزو العثماني.

وبخلاف المساجد والقلاع هناك عدد كبير من المساكن الأثرية مثل منزل البقروللي، ومنزل عثمان أغا الأصلي ومنزل "عرب كلي"، وهو من من المنازل الأسرية، وقد تم تحويله إلى متحف وطني، أما المنزل الأكثر شهرة فهو منزل "المازوني"، وهو منزل السيد محمد البواب المازوني والد زبيدة التي تزوجها " مينو" القائد الثالث للحملة الفرنسية.

أما أشهر الأحداث التي وضعت رشيد على خارطة التاريخ الحديث، فتتعلق بملحمة رشيد، والتي نجح فيها شعب المدينة في القضاء على حملة فريزر الإنجليزية بقيادة محافظها الشجاع "على بك السلانكلي"، والشيخ حسن كريت، وقد أرخ لهذه الملحمة عدد كبير من الكتاب مثل "البغدادي" في كتابه "إيضاح المكنون" والرافعي في "تاريخ الحركة القومية" وكذلك المقريري وبن إياس والجبرتي.

وقد دخلت رشيد التاريخ عندما وصلت أخبار انتصار أهلها على الإنجليز إلى القاهرة، وكانت رؤوس القتلى الإنجليز تصل إلى القاهرة يوميا ويطاف بها في شوارع المدينة، وقد اختارت رشيد هذا اليوم ليكون عيدا قوميا لها.

حجر رشيد

كما أن اكتشاف حجر رشيد أعطى للمدينة أهمية كبرى ليس على المستوى المحلي فقط بل على المستوى العالمي، وترجع قصة اكتشاف الحجر إلى عام ١٧٩٩ عندما كان أحد الضباط الحملة الفرنسية، ويدعى "بوشار" مكلفا بوضع أساس قلعة "جوليان"، وهو اسم أحد ضباط الحملة الذين لقوا حتفهم في هذا المكان، وأثناء عمليات الحفر بالقرب من قلعة قايتباي تم العثور عيل الحجر الجرانيتي الأسود والذي يبلغ طوله ١١٥ سم وعرضه ٧٣سم وسمكه ٥٨ سم، ولفت نظر رجال الحملة النقوش الغربية الموجودة على الحجر، وقد ظل الحجر موجودا في مصر حتى عام ١٨٠١ قبل أن يتم نقله إلى لندن بموجب اتفاق بين فرنسا وإنجلترا، وبعدما يقرب من ربع قرن نجح العالم شمبليون ونخبة من العلماء في حل رموز الحجر للوصول إلى لغة الكتابة الهيروغليفية والديمقراطية واليونانية القديمة، وتوجد نسخة مقلدة من الحجر في متحف رشيد، بيما تقبع النسخة الأصلية كواحدة من أهم القطع الأثرية في المتحف البريطاني.

كما أن متحف رشيد يعد وثيقة إسلام وزواج آخر قادة الحملة الفرنسية في مصر الجنرال مينو والذي تزوج من "زبيدة"، ابنه أحد أعيان رشيد، بعدما أسلم وسمى نفسه الشيخ عبدالله مينو، وأنجب منها ابنه "سليمان" قبل أن يغادروا مصر عائدين جميعا إلى فرنسا، ولا يوجد ما يدل على أن "زبيدة" عادت إلى مصر مرة أخرى هي أو ولدها سليمان، على عكس ما ورد في قصة غادة رشيد للأديب على الجارم، حيث يحكي فيها عودتها إلى مصر ووفاتها على قبر ابن عمها الوطني الشاب محمود، وإلى جانبها الفتاة الإنجليزية لورا والتي كانت زوجه لابن العم الوطني، والذي استشهد أثناء مقاومة أهلي رشيد للإنجليز.

سلطنة عمان.. حضارة صنعت التاريخ

-اسم السلطنة محفور في ذاكرة التاريخ الإسلامي بحروف من نور.

-عمان هي الدولة الوحيدة التي تحافظ بقوة على التقاليد العربية الأصلية.

في سلطنة عمان مجموعة من المدن ذات التاريخ العريق والأصالة الممتدة عبر التاريخ، كما أن للسطنة نفسها دورا تاريخيا لا ينسى، وقد أثبتت الاكتشافات الأثرية والتنقيبات أصالة الحضارة العمانية وقدمها وعراقتها، ودلت الآثار على صلاتها ووشائجها بالحضارات القديمة، وعرف أهلها الإسلام في وقت مبكر.

وتقع سلطنة عمان في الجنوب الشرقي من شبه الجزيرة العربية على خليج عمان، وهو بحر العرب في المحيط الهندي، ويمتد بين الجزيرة العربية وباكستان والهند وإيران.

وتبلغ مساحتها ٣٠٠,٠٠٠كم٢، وعدد سكانها حوالي مليون نسمة، والعاصمة مسقط، وأهم مدنها ظفار ونزوي وصحار وصلالة، وتناثر أمامها لجهة الجنوب عدة جزر صغيرة في بحر العرب أهمها جزيرة مصيرة وجزر خوريا موريا.

ويحد عمان من الشرق خليج نعمة، ومن الشمال خليج عمان والإمارات العربية المتحدة، ومن الغرب المملكة العربية السعودية واليمن، ومن الجنوب بحر العرب.

وكانت عمان خاضعة للاحتلال البرتغالي منذ سنة ١٥٠٨، ونالت استقلالها سنة ١٧٤١، على يد مؤسسها أحمد بن سعيد، وقد لعبت عمان دورها بين الحضارات القديمة منذ آلاف السنين، والعصور الأولى بعد الميلاد.

وعرفت السلطنة عبر مراحل التاريخ بعدة أسماء كان أبرزها مجان، ومزون، وعمان واقترن كل غسم بحكاية تاريخية، فاسم مجان وفق ما ورد في كتابات السومرين ارتبط بما اشتهرت به عمان من صناعة السفن وصهر للنحاس منذ القدم، وكانت تربط السومريين علاقة تجارية وبحرية عديدة بعمان، لذا فقد أطلقوا عليها أرض مجان،

أما اسم مزون فقد ورد في كتابات وآثار الحضارات الفارسية، ويعني وفرة الموارد المائية التي في أرض عمان خلال تلك الأزمنة، وكلمة "المزن" في اللغة العربية معناها السحب التي تسبب الأمطار الغريزة.

وقد عرفت عمان الزراعة منذ زمن قديم لوفرة الموارد في أراضيها، وكانت تمد الدول المجاورة بما يلزمها من المحاصيل والحبوب والخضر والفواكة بما كانت تجود به أراضيها.

ومازالت سلطنة عمان تشتهر بالزرعة مثل زراعة القمح والحبوب والنخيل وجوز الهند، ويتحكم المناخ بدرجة كبيرة في نوعية المحاصيل الزراعية، وهو جاف وحار، والأمطار في معظمها موسمية، وعمان عبارة عن سهول ساحلية، شرف عليها سلسلة من الجبال في الغرب والشمال وأهمها الجبل الأخضر، وجبال الحجر، وأعلى قمة في قمة جبل الشام الوقع إلى الشمال من نزوى، وارتفاعها يصل إلى ٣٠٣٥ مترا.

ولعب موقع السلطنة دورا هاما في اتجاه الأهالي إلى صيد الأسماك واستخراج اللؤلؤ، وتربية الماشية وبها أيضا حقول نفط يصدر قسم منه إلى الخارج، كما تقوم السلطنة بتصدير التمر والحبوب والسمك المجفف.

أصل عمان

تعددت التفسيرات واختلفت حول أصل كلمة (عمان)، وكان أرجحها أن هذا الاسم ورد مع هجرات القبائل العربية الأولى التي جاءت من مكان باليمن، يطلق عليه عمان، واستقرت على هذه الأرض وأطلقت عليها اسم المكان الذي جاءت منه، ويقال أيضا إن (عمان) سميت بذلك نسبة إلى عمان بن بني الله إبراهيم الخليل عليه السلام، وقيل إنها سميت بهذا الاسم نسبة إلى عمان بن سبأ بن نعتان بن إبراهيم.

ومنذ ذلك التاريخ عرفت البلاد بإسم عمان، وأصبحت موطنا للقبائل العربية التي قدمت إليها وسكوا الساحل والسهول، وعلموا بالزراعة والصيد، كما استقر بعضها في المناطق الصحرواية واشتغل بأعمال الرعبي وتربية الماشية.

ومن ثم فقد تميز التراث الشعبي العماني بخصوصية دائمة، لتمسك الشعب العماني بتقاليد الماضي وأصالته، وارتبط التراث العماني بالتارخ العربي والإسلامي نتيجة للاتصال والتزواج الفكري والحضاري والفتوحات والهجرات التي لعبت فيها عمان دورها التاريجي المجيد.

كما قامت عمان بدور مؤثر خلال صدر الإسلام وفجره وعصوره المتعاقبة، فقد لبى العمانيون دعوة رسول الله – ﷺ- إلى الإسلام عن إيمان ويقين، وأكرموا مبعوثه الصحابي الجليل عمرو بن العاص.

وأسهمت عمان بنشر الاسلام في شرق الأرض ومغاربها، وأصبحت منذ هذا التاريخ قلعة من قلاع الإسلام الحصينة، وشاركت في الفتوحات الإسلامية في البر والبحر، خاصة في بلاد فارس والعراق وبلاد السند والهند وغيرها من البلاد الأخرى.

وعندما جاءت دولة اليعاربة وحدث البلاد وقادت الجيوش ضد البرتغاليين الذين أغاروا على السواحل العمانية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وتمكن اليعاربة من إزالة التهديد الذي واجه المنطقة العربية، واستطاعوا طرد البرتغاليين من السواحل العمانية والخليج والمحيط الهندي.

وفي أواخر حكم اليعاربة ظهر القائد أحمد بن سعيد الذي اتصف بالشجاعة والأقدام، واستطاع بحكمته معالجة المشاكل والأزمات التي واجهتها البلاد، وبايعه العمانيون عام ١٧٤٤م ليكون إماما لهم، واستقرت في عهده الأحوال السياسية والاقتصادية للبلاد، خاصة أن الإمام أحمد بن سعيد كان تاجرا ماهرا قبل توليه الحكم، وفي عهده تم توحيد البلاد وأنشئت قوة بحرية كبيرة وأسطول تجاري ضخم.

وتعاقب على حكم البلاد أئمة حافظوا على ما حققه الإمام أحمد بن سعيد، وجاء السلطان قابوس بن سعيد ليتولى حكم البلاد في عام ١٩٧٠، لتسترجع السلطنة ازدهارها وقوتها وأمجادها الغابرة بفضل الحكمة والدراية العميقة للسلطان قابوس الذي حقق للشعب العماني الكثير من الإنجازات في مسيرة التنمية العمانية عبر مجالات التصنيع والعمارة وكافة الإنجازات الأخرى، ومازالت السلطنة تمارس دورها كبلد إسلامي عريق توجشت صلاته بالإسلام منذ فتوحاته الأولى، ورفعت راياته خفاقة عبر السنين.

سمرقند.. المدينة المحفوظة

- عمرها ٢٥٠٠ سنة وفتحت في عهد عمر بن الخطاب.

- بلغت أوج شهرتها ومدها في عهد تيمور لنك.

سمرقند من أقدم مدن العالم ويعود إنشاؤها إلى ٢٥٠٠ سنة، وكانت تسمى قديما "زينة وجه الأرض"، وهي الأن من أعظم مدن جمهورية أوزبكستان ويبلغ عدد سكانها حوالي نصف مليون نسمة، فضلا عن مكانتها الدينية ونشاطها الكبير في مجال الزراعة والصناعة والتجارة.

دخل الإسلام مدية سمرقند في عهد ثاني الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب ﷺ في منتصف القر السابع الميلادي، ومنذ ذلك التاريخ انتشر الإسلام في مدن آسيا الوسطى حتى شمل بلدانا كثيرة، وقد لعبت سمرقند دورا هاما في إثراء الحضارة الإسلامية، والدفع برجالها إلى ساحة العلم والمعرفة وخدمة المجالات الدينية والثقافية والأدبية وغيرها.

وعن تاريخها ومعالمها يقول المؤرخون والرواة: قالوا إنها من أبنية ذي القرنين فيما وراء النهر، وقالوا: بناها شمر أبو كرب فسميث شمر كنت، ثم عربت فقيل سمرقند وقصة هذا البناء كما حدث الرواة أنه لمامت ناشر ينعم، الملك قام بالملك من بعده شمر بن أفر يويس بن أبرهة، فجمع جنوده، وسار في ٥٠٠ ألف رجل حتى ورد العراق، فأعطاه يشتاسف الطاعة، وعلم أنه لا طاقة به به لكثرة جنوده، وشدة صولته، فسار من العراق إلى بلاد الصين، وقيل إنه لما صار بالصفد اجتمع أهل تلك البلاد، وتحصنوا منه بمدينة سمرقند، فأحاط بمن فيها من كل وجه حتى استنزلهم بغير أمان، فقتل منهم مقتله عظيمة، وأمر بالمدينة فهدمت، فسميت شمركند أى شمر هدمها، ثم عربت فصارت سمرقند، وفي كتابه معجم البلدان يقول يا قوت الحموي بلغت سمرقند أوج مجدها في عهد تيمور لنك إذ جعلها عاصمة ملكة، وكان خربها جنكير خان سنة ١٢٢٠م.

المدينة المحفوظة

وعن فضل سمرقند ثمة حديث مرفوع لأنس بن مالك يقول فيه: لا تقولوا سمرقند ولكن قولوا المدينة المحفوظة فقال أناس: يا أبا حمزة، وما حفظها؟ أخبرني حبيبي رسول الله – ﷺ– لإن مدينة بخراسان خلف النهر تدعى المحفوظة، لها أبواب على كل باب منها خمسة آلاف ملك يحفظوها يسبحون ويهللون، وفوق المدينة خمسة آلاف ملك يبسطون أجنحتهم عن أن يحفظوا أهلها، وخلف المدينة روضة من رياض الجنة، وخارج المدينة ماء حلو عذب من شرب منه شرب من ماء الجنة، ومن أطعم فيها مسكينا لا يدخل منزله فقر أبدا، ومن مات فيها فكأنما مات في السماء السابعة ويحشر يوم القيامة مع الملائكة في الجنة.

ومن أشهر من أنجبتهم هذه المدينة الإسلامية العريقة العالم الكبير الخوارزمي.. ومن أعلامها أيضا علاء الدين السمرقندي سنة ٥٧٥هـ ومن بين من كتبه "تحفة الفقهاء"، ومنهم نجيب الدين السمرقندي المتوفى في القرن السابع الهجري، وكان طبيبا معاصرا لفخر الدين الرازي، وأشهر كتبه الطبية "الأسباب والعلامات" في تشخيص الأمراض وعلاجها، ومنهم شمس الدين السمرقندي من أعلام القرن السابع الهجري، وهو العالم والمنطقي والفلكي والأديب وله "رسالة في آداب البحث"، وتعرف بـ"آداب السمرقندي" كما أن له "قسطاس الميزان" في علم المنطق، وهناك محمد بن مسعود السمرقندي صاحب التفسير المعروف بتفسير العياشي.

ومن علمائها المتأخرين أبو القاسم الليثي السمرقندي، من أعلام القرن التاسع الهجري، صاحب الرسالة السمرقندي، وصاحب "بلوغ الأرب من تحقيق استعارات العرب" و"مستخلص الحقائق في شرح كنز الدقائق".

شموخ وأصاله

وبالرغم من مرور العصور وتبدل الحكام حافظت سمرقد على شموخها وأصالتها، وازداد بها رسوخ العقيدة الإسلامية التي انتشرت بقوة وإصرار.

وهكذا ظل الإسلام في صدور مسلمي سمرقند كعقيدة شامخة، وانتشر علماؤها يحملون علوم الفقه والدين إلى شتى بقاع الأرض، وإليها نسب جماعة من أهل العلم منهم محمد بن عدي بن الفضل أبو صالح السمرقندي، نزيل مصر الذي سمع بدمش أبي الحسن الميداني، وجماعة غيره، وروي عنه أبو الربيع سليمان بن داود ب أبي حفصي الجبلي، وجماعة غيره.

مات في سنة ٤٤٤هـ، ومنهم أحمد بن أبي بكر السمرقندي، سكن بدمشق وقرأ القرآن، وكان يكتب المصاحف من حفظه وتوفي سنة ٤٨٩هـ.

واشتهرت سمرقند بآثارها الإسلامية العريقة مثل مسجد بين خانك وهو المسجد الجامع الذي كانت تؤدي فيه "صلاة الجمعة"، وهو مدرسة سمرقند الشهيرة، وقد بني المسجد في عام ٨٠٢هـ (١٣٩٩)م، ويعرف بزخارفه البديعة التي تزينه، وبالتخطيط البنائي الواسع حيث يتكون من صحن كبير مكشوف وأربع إيوانات تفتح ثلاثة منها عليه بأبواب وإيوان واحد يفتح عليه بكامل اتساعه، وقد شيدت حجرات الطلاب والدارسين بين الأيوانات.

وتشتهر سمرقند أيضا بمدرسة وخانقاه وضريح الأمير تيمور لنك وقد شيد هذا المجمع عام ٨٠٧هـ – ١٤٠٥م، المهندس الأصفاني محمد بن محمود البنا والذي سجل توقيعه أعلى عقد المدخل الجانبي للصريخ.

كما يوجد ضريح قاضي زاده الأثري الذي يعود إلى القرن الخامس عشر الميلادي، وهو من أشهر منشأت شاه زنده وتضم ضريح قثم بن العباس بن عبدالمطلب الذي قالوا إنه استشهد في فتح سمرقد سنة ٥٧هـ، وتضارع مدينة سمرقند مدينة بخارى في روعة مآذنها وشموخ عمائرها لتكون بحق من أعرق المدن الإسلامية التي تصل بين الماضي والحاضر في وشائج من العلوم والعمارة ورسوخ العقيدة الإسلامية في نفوس أهلها، ومازالت المدينة تمارس دورها الهام بين مدن ما وراء النهر.

صنعاء: مدينة السور القديم والحضارات المتعاقبة

- سور صنعاء من أبرز معالمها ويعود إنشاؤه إلى ما قبل الميلاد.

- عشرات المساجد والقباب منذ أن عرف أهلها الإسلام.

صنعاء مدينة الحضارات والآثار الإسلامية، وهي موغلة في القدم ويعود مباؤها إلى ما قبل ثلاثة آلاف سنة (القرن العاشر الميلادي ق.م). وكان اسمها "أزال" نسبة إلى مؤسسها "أزال بن قحطان بن النبي هود – عليه السلام – بن عامر سليل عاد سليل سام بن نوح – عليه السلام.

اختلفت الآراء حول تاريخ تخطيط المدينة وعهدها الأول، وقيل إن صنعاء كانت موجودة في عهد بلقيس بنت اليشرح ملكة سبأ بالقرن العاشر ق.م، وأن أول ذكر لصنعاء في نقش بنت عهد "كرب ال وتار يهنعم ملك سبا وابنه هلك أمر"، وقيل إن أول من خط المدينة هو ملك سبأ، وذلك قبل حكم الملكة بلقيس.

في كتابه معجم البلدان يقول ياقوت الحموي: لما دخلت الحبشة اليمن قالوا نعم نعم، فسمي الجبل نعم، فلما رأوا مدينتها وجدوها مبنية بالحجارة حصينة فقالوا: هذه صغة، ومنعناه "حصينة"، فسميت صنعاء بذلك.

ويضيف الحموي: ولم يكن باليمن أكبر ولا أكثر مرافقا وأهلا من صنعاء، وهي من الاعتدال من الهواء بحيث لا يتحول المرء من مكان طول عمره صيفا وشتاء، وبها تتقارب ساعات الشتاء والصيف لقربها النسبي من خط الاستواء وتقع على خط العرض ١٥ شمالا، وكا بصنعاء بناء عظيم قد خرب، وهو على تل عال يعرف بغمدان، وكان لها تسعة أبواب، لا يدخلها غريب إلا بإذن.

سور صنعاء

ومن معالم صنعاء الأثرية سورها الذي مر بثلاث مراحل تاريخية في العصر السبائي القديم، والعصر الحميري والعصر الإسلامي، وقد أثبت المؤرخون أن السور السبأى الحميري لمدينة صنعاء لم يكن ليعيش أكثر من ألف وثمانمائة سنة من القرن التاسع ق.م – إلى القرن التاسع بعد الميلاد، فقد شهدت المدينة في نهاية القرن الثالث الهجري حروبا وفتنا أدت إلى تدمير جزء كبير من صنعاء وليس سوره فقط، ولا تزال أجزاء من السور باقية حتى اليوم، وهو عبارة عن بنيان من الطين الأصم لمقاومة عوامل التعرية، لذلك اكتسبت مقومات الجمال والمتانة.

يقول المؤرخ اليمني محمد الفرح: كان سور صنعاء "الطي الأصم" موجودا في عصر الدولة اليعفرية "٢٤٧هـ-٣٩٣هـ" بالقرن الرابع الهجري – والدولة الصليحية "٤٣٩هـ – ٥٣٢هـ" بالقرن الخامس والسادس الهجري.. وفي عام ٥٦٩هـ (١٩٩٠م) انضوت اليمن في إطار الدولة الأيوبية بزعامة "صلاح الدين الإيوبي" الذي أرسل إلى اليمن أخاه (تورا شاه ٥٦١هـ -٥٦٩هـ) ثم أخاه "طغتكي بن أيوب" (٥٧٩هـ – ٥٩٠هـ) فقام بتشييد سور صنعاء الطيني الأصم أو استكمال السور، لأنه موجود من قبل، وكانت لسور صنعاء أربعة أبواب هي "باب اليمن" و"باب شعوب" و"باب السبح" و"باب ستران"، وقد توسعت مدينة صنعاء القديمة في العهود التالية وتم زيادة السور واستحداث أبواب جديدة هي باب صنعاء القديمة في العهود التالية، وتم زيادة السور واستحداث أبواب جديدة هي باب "الشقاريف" و"باب خزيمة"، وبلغ طول سور صنعاء القديمة ٦٢٠٠ متر، في تلك المرحلة التي تمتد زمنيا من القرن السادس الهجري "الثالث عشر الميلادي" إلى القرن العاشر الهجري "السادس عشر الميلادي".

العاصمة الجديدة

مازالت صنعاء القديمة بيوتها وسورها ماثلة للعيان، وقد تحولت أبنيتها إلى مراكز للحرف التقليدية وفنادق ومطاعم وتأوي عددا كبيرا من السكان، وقد توسعت المدينة الجديدة باتجاه الجنوب الغربي، حيث تقع في منطقة جبلية عالية وسط شمال البلاد وأصبحت عاصمة اليمن الموحدة، ويبلغ تعداد سكاها حوالي ربع مليون نسمة، ويتفرع منها عدة طرق رئيسية أهمها طريق صنعاء – صعدة باتجاه الشمال، وطريق صنعاء – الحديدة، باتجاه الجنوب الغربي، وطريق صنعاء تعز، على ساحل خليج عدن باتجاه الجنوب.

وفي المدينة (سوق) يسمى باب اليمن، وهو سوق كبير يتكون من أسواق فرعية عديدة، وقد اهتمت الدراسات بهذا السوق لفرادة تصميمه وتخطيطه الهندسي الدقيق.

وتتميز البيوت الأثرية في صنعاء بنقوش دقيقة ومعقدة على شكل دوائر وأنصاف دوائر مزينة بالمرمر والزجاج ذي الألوان البهجية، وقد شهدت صعاء رواجا تجاريا وصناعيا على مر العهود، ومازالت من أكبر المدن اليمنية في صناعتها التقليدية المتمثلة في صنع الأسلحة والخناجر، والسيوف، والأخرى الحديثة المتمثلة بصنع المواد البلاستيكية والأدوات المنزلية، وبها مصنع الغزل والنسيج، ولها جامعة علمية وطنية ناشئة يقدر عدد طلابها بخمسة وعشرين ألف طالب، وقد أنشئت في عام ١٩٧٠.

أعلام صنعاء

تغني الشعراء بجمال صنعاء، وأسهب الرواة والمؤرخون في وصف محاسنها وأمجادها، ومن هؤلاء الشاعر أبو محمد اليزيدي الذي أنشد يقول:

ســــــيقا لصـــــــنعاء لا أرى بلـــــــدا   أوطنـــــــه الموطنـــــــون يشـــــــبهها
خفضـــــــا ولينـــــــا ولا كبهجتهـــــــا   أرغـــــــد أرض عـــــــيش وأرفههـــــــا

ج

وينتسب إلى صنعاء عدد كبير من أهل العلم، منهم عبدالرازق بن همام بن نافع أبو بكر الحميري الصفاني، أحد الثقات المشهورين، روي عنه سفيان بن عيينة ومعتمر بن سليمان وأبو أسامة حماد بن أسامة، وأحمد بن حنبل، ويحيي بن معين وإسحاق بن راهوية، ومحمد بن يحيي الذهلي، وعلى بن المديني، وأحمد بن منصور الرمادي، والشاذكوني الذي مات سنة ٢١١هـ.

وقد حافظت صنعاء على تاريخها وآثارها، فهناك سورها الضخم وأسواقها ومنازلها التي تحمل خصائث البيئة المحلية، وشوارعها المكسورة بالحصى الملونة، وعشرات العمائر والمآذن والقباب والمساجد، ولا غنى عن صناعتها التقليدية المتوارثة من عهود قديمة، وهكذا امتزج الماضي بالحاضر في وشائج من الأصالة والتحديث الذي طرأ على المدينة، وإن كان أهلها حافظون للإسلام منذ دخوله ديارهم وحتى اليوم.

عمان: المدينة البيضاء أو "فيلا دلفيا الشرق"!

- مساكن ومزارات عريقة تنهض على أربعة عشر جبلا.

- عمان كانت بوابة الشام وأهم منفذ للتجارة بين الشرق والغرب.

تحمل المدن الإسلامية سمات وخصائص مشتركة، من حيث العراقة والشموخ والتواصل بين الماضي والحاضر في حلقات فريدة تبعث في النفوس المؤمنه الإدارة والقوة.
وتعد عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية من المدن التاريخية الهامة في المنطقة، فهي مدينة عريقة موغلة في القدم، حيث تعود نشأتها إلى سنة ١٢٠٠ق.م، وأقامها العمونيون عاصمة لهم، كانت تسمى بـ(عمون).

وبعد زوال مملكة العمونيين خضعت عمان لحكم الآشوريين، ثم البابليين، وفي القرن الثالث ق.م دخلت في حكم الإغريق وسميت فيلا دللفيا نسبة إلى الملك فيلا دلفيوس، ويطلق عليه اسم بطليموس الثاني، وفتحها العرب في سنة ٦٣٥م بعد أن كانت في أيدي الرومان منذ سنة ٣١ق.م.

وتقع عمان في سوط المملكة فوق جبال صغيرة متقاربة يبلغ عددها أربعة عشر جبلا، ويمر بها الخط الحديدي الضيق الذي كان يربطها بسورية شمالا وبمعان فالسعودية جنوبا، وتبلغ مساحتها ٨٠كم٢.

وفي الماي كانت أبنية المدينة تحتل سبع تلال مثل مدينة روما، وتنتشر المنازل التي يغلب عليها اللون الأبيض، لذا فقد سميت بالمدينة البيضاء لأن معظم العمائر بنيت بالحجر الأبيض، بل إن هناك بعض الأبنية أنشئت من الرخام الأبيض المصقول.

معالم وأبنية

وتشتهر عمان بعدد من المعالم الإسلامية والأثرية مثل القلعة ومسجد الجامع والمسرح اليوناني، فضلا عن الإنشاءات الحديثة كالجامعة العلمية الراقية التي تم مختلف الفروع والتخصصات، وفيها مطار دولي متطور، وقد تطورت الصناعة في عمان بشكل ملحوظ، والتي تمثلت في صناعة الأسمنت والفوسفات وتكرير البترول والبلاستيك والجلود والمواسير وصناعة المواد الغذائية، فضلا عن أنواع الصناعات اليدوية والحرف وصنع الزجاج والصدف والتطريز، وصناعة الأدوية وصنع القلادات والنحت على خشب الزيتون، وعرفت عمان برخص أسعارها وكثرة فواكهها.

ووصف المؤرخون العرب عمان في الماضي البعيد كانت ذات قرى ومزارع، وأن بها عدة أنهار وطواحين تدار بالماء، وكان لها جامع في طرف السوق ترصعه الفيسفاء ، وكان قصر جالوت على جبل يطل عليها.

ومن الأعلام الذين انتسبوا إلى عمان وخرجوا منها أبو الفتح نصر بن مسرور بن محمد الزهري العماني، وأسلم بن محمد بن سلامة بن عبدالله بن بعدالرحمن أبو دفافة الكناني العماني الذي توفي سنة ٣٢٤هـ في دمشق، وروي عنه أبو الحسين الرازي وأبو بكر أحمد بن صافي التنيس.

ومازالت عمان مدينة الماضي والحاضر، حيث تضم العديد من الآثار الإسلامية والمساجد والعمائر التي حافظت على رونقها وبهائها، حتى اليوم.

ويتحلى أهل عمان بالعادات والتقاليد الحميدة، وتعج الأسواق بالبضائع، وتتلألأ الأضواء فوق الحوانيت والأبنية، وتضاء مآذنها ليلا، لتبدو التلال العمانية أشبه بلوحة عامرة بالألوان البهيجة، حيث تتناغم الأضواء الوردية والبنفسجية والخضراء والبيضاء في كرنفال لوني يملأ النفوس بالفرح والبهجة.

والسفر إلى العاصمة الأردنية يحقق لورادها الاستمتاع بطقسها الرائع وهوائها النقي، والذي يعود إلى نموها فوق التلال، حيث إن أراضي المملكة في معظمها صحراوية وفيها سهول خصبة، ونظرا للتميز الموقعي العماني، فقد أطلق عليها اليونانيون اسم "مدينة الحب الأخوي" ومع مرور الأعوام تكاثر عدد التلال التي تنهض عليها المدينة، وتميزت بالتزاوج بين الحضارات القديمة والعريقة وحداثة العمائر والمنشآت الجديدة.

منشآت حديثة

ومن أبرز معالم عمان التي أنشئت في العصر الحديث مدينتها الرياضية الكبيرة وتبلغ مساحتها ١٠٠٠ دونم، ومدينة الحسين الطبية التي تستوعب المرض من مختلف الأقطار العربية، وتجرى فيها أدق عمليات القلب المفتوح وزراعة الكلى وجراحة المخ.

وقد وصف المؤرخون العرب عمان فأثنوا على مكانتها التاريخية وقالوا: إنها مدينة الأنعام والحبوب.

وكانت عمان بوابة الشام وإحداهم منافذ التجارة بين الشرق والغرب، إذ إن القوافل كانت تعبرها حاملة تجارة الهند والصين عبر البحر الأحمر، فيما كان يعرف يومئذ بطريق البخور.

وما زالت عمان حافظة لتقاليد الماضي وأصالته، وهناك اهتمام كبير بالشئون الدينية، حيث المساجد العامرة بالمصلين والدروس الدينية، وهناك أيضا لجان الزكاة في مختلف الأحياء تحت إشراف وزارة الأوقاف وشئون المقدسات الإسلامية، بالإضافة إلى الهيئة الخيرية الهاشمية التي تقوم على أعمال الخير ومساعدة الفقراء والمحتاجين.

وفي أيامنا الحاضرة تواصل عمان دعمها للمسيرة العربية والإسلامية وتسطر تاريخها الموصول بالحضارات والأمجاد.

فاس: عاصمة المغرب الدينية

- جامع القرويين من أشهر معالمها التاريخية والأثرية.

- تغنى الشعراء بحسنها وجمالها وفاخرت المدن الأخرى بروعة عمارتها.

فاس مدينة تاريخية من أقدم مدن المغرب العربي، وكانت عاصمة البلاد منذ القرن التاسع الميلادي وحتى القرن السابع عشر الميلادي، وقد بلغت المدينة أوج ازدهارها في العهود القديمة للمريين والسعديين والوطاسيين، ومازالت أمجادها حاضرة لدورها البارز في النواحي التراثية والثقافية في المغرب العربي.

وتعد المدينة ثالث أكبر مدن المغرب بعد الدار البيضاء والرباط، ويبلغ عدد سكانها ما يزيد على ٨٠٠ ألف نسمة، وتقع على الطريق الرئيسية المعبدة، والأخرى الحديدية الآتية من الرباط فمكناس إلى المغرب باتجاه جدة في الغرب ثم إلى الشرق، فتلمسان ثم وهران في الجزائر.

وتشتهر فاس بمساجدها وآثارها الإسلامية الشاهدة على تاريخها الحافل بالإنجازات، وكانت فيها قلعة محصنة على بر المغرب من بلاد البربر، وكانت حاضرة البلاد وأجل مدينة فيها قبل أن تختط مراكش.

شيدت فاس بين ثنيتين عظيمتين، وقد تصاعدت العمارة في جنبيها على الجبل حتى بلغت مستواه من قمته، وتفجرت بها العيون التي سالت إلى قرارة واديها، وتحولت إلى نهر متوسط منبسط على الأرض منبجس من عيون في غربيها، ثم ينساب يمينا وشمالات في مروج خضر، فإذا انتهى إلى المدينة افترق منه ثمانية أنهار تشق المدينة، وعليها نحو ٦٠٠ رحى داخل ساقية ماء، ولا يوجد ببلاد المغرب مدينة أخرى مثلها يتخللها الماء إلا غرناطة بالأندلس.

مدينتان

وكانت فاس في بادئ الأمر مدينتان، عدوة القرويين، وعدوة الأندلسيين، وأسست الأخيرة سنة ١٩٢هـ، والأخرى سنة ١٩٣ هـ في ولاية إدريس بن إدريس، وضمت المدينة ثلاثة جوامع يخطب يوم الجمعة في جميعها، ويفد إليها مئات المصلين، وكان بها عشرون حماما وبها كان الصباغون يقومون بأعمال الصباغة بالأرجون والأكسية القرمزية.

وتميزت المدينة بموقعها الساحر الذي يخلب الأنظار ويحقق المتعة للنفوس الباحثة عن النسمات الندية وأريج الخضرة والبساتين، ولذلك تغنى بجمالها وحسنها الشعراء والأدباء، وفاخرت فاس سائر المدن الغربية الأخرى بما انتسب إليها من عمائر وآثار مازالت باقية حتى يومنا هذا.

وقد أجمع المؤرخون على اعتبار "فاس" أكثر المدن المغربية أصالة واحتفاظا بفن العمارة الإسلامية العربية والتراث بفنونه المختلفة، بل زادوا أنها تتفوق على المدن الملكية الثلاث الأخرى الرباط ومراكش ومكناس.

وتغنى عن (فاس) الشعراء مثل إبراهيم محمد بن محمد الأصيلي والد الفقيه أبي محمد عبدالله، ومحمد بن إسحاق المعروف بالجيلي الذي أنشد بعض الأبيات في مدحها:

يا عدوة القرويين التي كرمت لازال جانبك المحبوب ممطورا
ولا سرى الله عنها ثوب نعمته أرض تجنبت الأثام والزورا

وحين زراها المستشرق الفرنسي بيارلوتي، وطاف بشوارعها وآثارها، لم يستطع أن يوقف اندهاشه من روعة المكان وحسنه فكتب قائلا: في الساعات الرائعة التي تسبق نهاية النهار، كنت أصعد إلى الشرفة لأجلس وأتأمل الغروب، والمدينة القديمة المتمسكة بتراثها والغارقة في الظل، تسبح في ذهب كل هذه الشمس، وقال: أجزاء المدينة منبسطة أمامي عبر سلسلة من الأدوية والتلال، تبدو كأنها غارقة في بحر من الهدوء والسلام الذي لا يمكن أن يعكر صفوه أحد.

إنه الهدوء المشع الذي يكاد يضحك لشدة نعومته.. كذلك، فإن النسيم أصبح فجأة ناعما وهادئا، إلى درجة أنك تعتقد نفسك تعيش طقسا صيفيا لا ينتهي.

إبهار

ومازالت (فاس) تبهر زائريها وروادها من الوافدين إليها، وإذا كانت الرباط هي العاصمة السياسية للملكة المغربية، فإن فاس هي العاصمة الدينية والثقافية، حيث تشتهر بتقدم مركزها التجاري والزراعي والصناعي والعلمي والثقافي، وبها عدد من الجامعات والمعاهد العلمية والدينية، أشهرها مدرسة أبو عنان، ومدرسة العطارين، وأشهر معالمها جامعها التاريخي المعروف بجامع القرويين وهو يحاكي عراقة وشهرة الجوامع الإسلامية العظيمة مثل جامع الزيتونة في تونس والجماع الأزهر في مصر، والجامع الأموي في دمشق.

وانتسب إلى فاس جماعة من أهل العلم منهم أبو عمر عمران بن موسى بن عيسى بن نجيح الفاسي، فقيه أهل القيروان في زمانه، وقد نزل بها وكان قد سمع بالمغرب من جماعة، ورحل وسمع بالمشرق جماعة من العلماء، وكان من أهل الفضل والطلب.

ولم تكن مدينة فاس تنتظر الحديث عنها، فقد شمخت آثارها الإسلامية وقبابها ومآذنها تناطح السحب، وتحمي قصة المدينة التي حافظت على تراثها وخصائصها الإسلامية عبر القرون الطويلة، لتباهي المدن الأخرى وتضارعها في الروعة والأصالة والحفاظ على الماضي من الاندثار.

مراكش: مدينة الصمود وبانوراما الحضارة المغربية

- التراث المحلي والصناعات التقليدية تختلط بكل ما هو معاصر.

- الرسام الفرنسي جاك ماجوريل اختار مراكش لإقامة مسكنه الخاص.

مراكش من أقدم المدن الاسلامية، وثالث أكبر مدينة في المغرب بعد الرباط والدار البيضاء، ومازالت آثارها الإسلامية تنهض في شموخ لتربط بين الماضي والحاضر بوشائج الإسلام والعروبة.
كان أول من اختط مراكش هو يوسف بن تاشفين سنة ٤٧٠هـ، وهو الملقب بأمير المؤمنين، واختير موقعها للتصدي للصوص والقوافل الذين كانوا يسرعون بعيدا عنها، حيث كانوا يقولون مراكش، ومراكش، معناها بلغة البربر، أسرع المشي.

وقد تعددت المرادفات والمعنى لكلمة مراكش، حيث تؤكد النصوص التاريخية أن معناها هو مكان الرعي، فقد أشار عبدالواحد المراكشي في كتابه "المعجم" بقوله: "إن مراكش كانت عندما وصل المرابطون مدينة خالية من البنايات.

ولما أسس تاشفين المدينة أصبحت تحمل اسم المكان الجغرافي الموجودة فيه، وذلك حتى لا يقع خلط بين البادية المحيطة وبين المدينة الحاضرة، وبدأ الناس يتحدثون عن مراكش كاسم عمم فيما بعد على السهل، وهي تقع وسط المغرب إلى الشمال من جبل درن، وهو الجبل الذي ظهر منه ابن تومرت المسمى بالمهدي.

وعلى مر العقود التاريخية توسعت مراكش فى منطقة السهول المدارية إلى الجنوب من الدار البيضاء، وإليها تنتهي الطرق الحديدية الآتية من الرباط عبر الدار البيضاء، وهي قاعدة إقليم مراكش ويبلغ عدد سكان مراكش الآن ما يربو على (٨٠٠ ألف نسمة).

وقد اكتسبت المدينة شهرة واسعة وجذبت عددا من أهالي المغرب إلى السكن فيها، حيث رأوها واحة فيحاء وسط هذا الفضاء المترامي الأطراف والذي تراه العين من بعيد جبال شاهقة وقلاعا تحمي هذه المدينة العريقة من غارات الأعداء.

صناعات وتراث

واشتهرت مراكش بمركزها التجاري والزراعي، ومازال بها العديد من الصناعات اليديوة التقليدية، وأهمها صناعة الجلود ودبغها، وصناعة المنسوجات والزرابي (الأواني)، والتحف النحاسية والخشبية والأدوات المنزلية.

ورغم المحافظة على أشكال التراث المتنوعة في مراكش، فقد خططت شوراعها وميادنيا في العهود الحديثة، وبنيت فيها العمائر العالية، وفيها مطار دولي ومؤسسات حكومية وحوانيت ودور سينما ومسارح وحدائق عامة، وأصبحت مركزا للإشعاع الديني والثقافي وقديما كان أهل مراكش يشربون من الآبار إلى أن جلب إليه الماء من ناحية إغمات، ومضار، يسقي أهلها وبساتنيها، وكان أول من أتخذ بها البساتي عبد المؤمن بن على.

وقد أعرب الفنانون الغربيون عن دشهتهم وانبهارهم بروعة التراث المعماري الذي تميزت به مراكش، ففي أواخر الربع الأول من هذا القرن قدم إلى مراكش الرسام الفرنسي جاك ماجوريل، وبنى لنفسه بيتا استلهم في بنائه فن العمارة المغربية وعرفه الناس باسم "الفيللا التكعيبية"، وقد حرص الفنان الفرنسي أن يكون ديكور منزله مستوحى من الفنون التقليدية المغربية، وأمام المنزل حفر ماجوريل بركة رائعة، وبنى خلفه منزلا صغيرا وفق الفن الهندسي البربري، دون أن ينسى إقامة برج عال خلف المنزل، حفاظا على الطابع المعماري الذي تميزت به أبنية مراكش.

وتعد مدينة مراكش من أهم المد المغربية التي حافظت على تراثها وصناعاتها المحلية، وبذلك فاخرت بماضيها وبحاضرها على حد سواء، وتمنعت بمكانه متميزة وسط المدن المغربية.

وتحفـل المدينـة بعـدد كبـير مـن المسـاجد والمـآذن والأسـواء، وأشـهرها مئذنـة "الكتيبة" التي تعود إلى القرن السادس الهجري، وبها أيضا قصور ومقابر السعديين.

ولأهل مراكش عادات وتقاليد منفردة، حيث يقبلون على القراءة والاطلاع في المكتبـات بأعـداد غفـيرة، كمـا تمتلـئ المسـاجد بالمصـلين، وتكثـر الـدروس الدينيـة في جوامعها.

مدين تسكن القلوب

وتزداد المدينة جمالا ورونقا في المناسبات الدينية كشهر رمضان والأعياد وليلة رأس السنة الهجرية، حيث تضاء المآذن وتتلألأ الأنوار في كرنفال من الألوان البهجية.

وقد امتلكت مراكش اسم المخبأ والحسن والملاذ، وبها توحدت بلاد المغرب وشهدت أزهي عصورها، ولذلك فالمدينة تسكن في قلوب المغاربة الذين يتوافدون إليها، فضلا عن زوارها من الأجانب الذين يرغبون في المتعة البصرية لمرأى عمائرها ومساجدها وأبنيتها الضاربة في عمق التاريخ.

ومن ثم ينصت السائرون في شوارعها الأسفلتية إلى أصوات مختلطة بين صهيل الجياد وصلصة السيوف وهدير العربات، وفي معانقة بين أصالة الماضي وروعة الحاضر في مدينة الصمود والإشعاع الديني والثقافي.

مكة: قبلة المسلمين ومهبط الوحي

- بها نزلت أول آيات القرآن على الرسول الكريم.

- إليها يحجج ملايين المسلمين سنويا من شتى بقاع الأرض.

إذا كانت المدن تتفاوت مكانتها التاريخية والدينية وفقا لمعرفتها بالإسلام وبالأديان السماوية الأخرى فإن مكة تحتل في هذا السياق المكانة الأولى بلا منافس فهي مهبط الوحي، وهي البؤرة التي انطلقت منها شعلة الإسلام الأولى، لتضيء كل ربوع الأرض.

ومنذ أقدم العصور تحتل مكة مكانة عالية بسبب وجود بيت الله الحرام بها والذي بناه أبو الأنبياء سيدنا إبراهيم عليه السلام وولده إسماعيل، وهو ما جعلها بقعة من أقدس بقاع الأرض وأطهرها وهي قبلة المسلمين ومحط أنظارهم، حيث تقام مناسك الحج بالطواف حول الكعبة والسعي بين الصفا والمروة والنفرة إلى المزدلفة ثم المبيت بمنى ونحر الأضاحي في صبيحة عيد الأضحى المبارك.

ولمكانة مكة قبل الإسلام وبعده تعد من أعظم مدن الحجاز، حيث تقع في واد على الطريق الممتدة بين جدة في الغرب إلى الرياض في الشمال الشرقي، وإلى الطائف في الجنوب الشرقي، وهي تحاذي في موقعها مدار السرطان ومناخها شديد الحرارة، وقد ورد في معجم البلدان ما تردد حول عثور أهلها على حجر بها مكتوب عليه: "أنا لله رب مكة الحرام، وضعتها يوم وعت الشمى والقمر".

وقد ظلت مكة تستمد مكانتها قبل الإسلام من وجود بيت الله الحرام وبها والذي كان يقصده الناس حجاجا، وهو ما أدى إلى ازدهار التجارة بها ورفع من مكانة أهلها وقد كانت بيد قريش في الجاهلية، وكان معظمهم على دين الشرك والوثنية حتى بعثة الرسول – صلى الله عليه وسلم – وبزوغ فجر الإسلام فيها.

حماية ربانية

وما يؤكد مكانة مكة قبل الإسلام هو ما تعرضت له من هجوم أبرهة الحبشي عليها، ومحاولته هدم البيت الحرام بأفياله في ذلك العام الذي عرف بعام الفيل وهي الحادثة التي ذكرها الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز في سورة "الفيل"، والتي تروي هزيمة أبرهة وأفياله عندما اقترب لهدم المسجد، ويروي التاريخ أن عبدالمطلب جد الرسول – ﷺ– كان هو الذي يحظى بشرف خدمة بيت الله الحرام.

وقيل: إنها سميت مكة لأنها كانت تملك الجبارين أى تذهب نخوتهم، وقيل إن السبب هو ازدحام الناس بها، كذلك يطلق على مكة اسم "بكة"، وقيل مكة هي اسم البيت ومكة اسم المدينة، وكان العرب في الجاهلية يقولون: "لا يتم حجنا حتى نأتي مكان الكعبة فمنك فيه، أى نضفر صفير المكاء، والمكاء طائر معروف".

ويرجع البعض تسميتها بهذا الاسم، لأنها تقع بواد بين جبلين مرتفعين وهي في مكان منخفض بمنزلة "المكوك"، وقيل إنما سميت بكة لأنه لا يفجر بها أحد إلا بكت عنقه أى دقته، كما أطلق عليها أسماء عديدة منها أم القرى، وقد جاء هذا الاسم في القرآن الكريم، في قوله تعالى: "لتنذر أم القرى ومن حولها".

ويكفي مكة ثناء ما قاله الرسول – ﷺ– يوم وقف على حجرة العقبة مخاطبا إياها "والله إنك لخير أرض الله، وإنك لأحب أرض الله إليّ، ولو لم أخرج ما خرجت، إنها لم تحل لأحد كان قبلي ولا تحل لأحد كان بعدي وما أحلت لي إلا ساعة من نهار، ثم هي حرام على لا يعضد شجرها ولا يحتشي خلالها ولا تلتقط ضالتها إلا لمنشد".

ولقد تغنى بمكة وشعابها عدد من الشعراء، سواء كان ذلك في الجاهلية أو في الإسلام، ويذكر أن عبدالله بن أم مكتوم قال فيها وهو يأخذ بزمام ناقة الرسول – ﷺ– ويطوف:

يـــا حبـــذا مكـــة مـــن وادي   أرض بهـــا أهلـــي وعـــوادي
أرض بهـــا ترســـخ أوتـــادي   أرض بهـــا أمشـــي بـــلا هـــادي

وبعد الفتح الإسلامي لمكة أصبحت من أهم معاقل الإسلام، يتوافد عليها الحجاج المسلمون من كل حدب وصوب، بل إن زيارة البيت الحرام لا تنقطع طوال العام.

ومازالت مكة وستظل مدينة الإسلام وبها قبلة المسلمين التي يتجهون إليها خمس مرات في اليوم الواحد في صلاتهم، كما هي وجهتهم الأساسية عندما يفدون إليها حاجين ويطوفون بالكعبة الشريفة، ويصلون في المسجد الحرام ويشربون من ماء زمزم الطيب.

مكة الحديثة

أما مكة حديثا فإنها مازالت تستمد مكانتها من كونها قبلة المسلمين ومقصد الحجاج، وأصبح واديها القديم عامرا بالمباني الحديثة والمسجد الحرام في ثلثي المدينة إلى "المسفلة".

وهو الاسم أو الصفة التي تطلق على كل ما نزل عن المسجد، أما ما ارتفع عنه فيعرف بالمعلاة.

وأهم أحياء مكة ومناطقها "أجياد"، وهي إلى الجنوب من المسجد الحرام، وبالقرب منها "المسفلة والشبكية"، وإلى الشرق من المسجد "القشاشية"، ومن الشمال الشرقي شعب على ومسقط رأس النبي – صلى الله عليه وسلم – وحي المعابدة، وإلى الشمال منه العتيبية والنقا والشامية، وإلى الشمال الشرقي جرول والحجون والزهراء، ومن ناحية الغرب "الجفاير" و"الهندوية" والرسيفية، ويبلغ عدد سكان مكة ما يقرب من نصف مليون نسمة، بينما يقصدها في الحج ملايين المسلمين مما جعلها سوقا رائحه للعديد من الصناعات مثل صناعة المواد الغذائية والمجوهرات، وصناعة السجاد والبسط والخيام، ولكن مهارة تجار مكة القديمة.

مازالت تجعل التجارة هي المهنة الأكثر تواجدا بين سكانها ووافديها، وتزدهر التجارة في موسم الحج بشكل يجعلها من أكبر المدن التجارية في العالم.

وفي مكة سكن عدد كبير من الصحابة ورواة الأحاديث النبوية الشريفة، ويحرص عدد كبير من الحجاج والزوار على زيارة هذه القبور والدعاء لأصحابها، ويعد علماء الدين في مكة وحفظة القرآن مرجعا هاما لكل طلاب العلم، وقد أنشئت بها جامعة "أم القرى" وكلية الشريعة والتربية، واللتين أسهمتا في تخريج عدد كبير من العلماء والمختصين في شتى أنواع المعرفة.

سامراء: مدينة المآذن وأطلال القصر الكبير.

– بناها الخليفة المعتصم حين ضاقت به "القاطول".

– تغنى بها الشعراء وقيل إنها أعظم بلاد الله بناء وأهلا.

سامراء مدينة عربية قديمة، وكانت عاصمة الدولة العباسية أنشأها الخليفة المعتصم، وتقع في سوط العراق إلى الشمال من بغداد على الضفة الشرقية من نهر دجلة، وبالقرب من سد الثرثار الذي أقيم من أجل السيطرة على مياه الفيضانات، وحماية للمدن العراقية الأخرى الواقعة على النهر، ومن أجل الاستفادة من هذه المياه في ري الأراضي الزراعية وتوليد الطاقة الكهربائية.

ولنشأة المدينة حكاية رواها المسعودي في كتابه مروج الذهب ومعادن الجواهر، حيث قيل إن المعتصم لما نزل من القاطول وتعذر البناء فيه، وهو موضع قريب من بغداد إلى الشمال، خرج يختار المواضع لاختيار عاصمة له تكون ظهيرا لبغداد، فانتهى لموضع سامراء.

وكان هناك دير للنصارى، فسأل بعض أهل الدير عن اسم الموضع، فقال: سامراء؟ قال المعتصم: وما معنى سامراء؟ قال: إنها مدينة سام بن نوح، فنظر المعتصم إلى فضاء واسع، وهواء طيب، وأرض صحيحة فاستمرأها واستطاب هواءها، وأقام هناك ثلاثا يتصيد في كل يوم، فوجد نفسه تتوق إلى الغذاء، تطلب الزيادة، فعلم أن ذلك لتأثير الماء والهواء، فدعا بأهل الدير، فاشترى منهم أرضهم بأربعة آلاف دينار، وارتاد لبناء قصره موصغا فيها.. وأسس المعتصم بنيان قصره، وأحضر الفعلة والصناع وأهل المهن من سائر الأمصار، وتقل إليها الفروس والأشجار، وشيدت الدور والقصور، وكثرت العمارة، وكثر العيش واستع الرزق، وكان ذلك سنة ٢٢١ هـ.

وقيل إن قصر سامراء الذي بناه المعتصم، كما يقع على جرف يشرق على سهل واسع يجري النهر في سوطه، وعند الواجهة الأمامية التي تطل على النهر رصيف منحدر يؤدى إلى الواردي، ويبلغ طوله حوالي ٧٠٠ متر، وعرضه ٢٠٠ متر، ويغطي

مساحة من الأرض مقدارها ٢١٠ آلاف متر مربع.. ولم يبق من القطر في وقتنا الحالي سوى باب العامة وهو بناء فخم، وكان يحتوى على عقد ثلاثي ضخم ارتفاع واجهته ١٢ مترا، ويطل على نهر دجلة، ويعرف بقاعة التتويج الكبير (الديوان) التي تشتمل على غرفه عميقة مكشوفة تعرف بالديوان الكبير.. وقد أثبتت التقيبات الأثرية مدى أهمية سامراء والتي تعود قبل الدولة العباسية إلى عصور ما قبل التاريخ، كما إنها شيدت فوق أثار العاصمة العباسية القديمة "سر من رأي" التي تمتد أطلالها على الضفة العليا لنهر دجلة من الفرع الثاني لمجرى النهروان.

شعراء ومؤرخون وأثارت سامراء اهتمام المؤرخين والشعراء الذين تغنوا بحسها وجمالها وطيب هوائها ومائها، فقالوا عنها: "أعظم بلاد الله بناء وأهلا"، وإنه "لم يكن في الأرض أحسن ولا أجمل ولا أوسع ملكا منها".

وقد اختطت سامراء في بادئ عهدها لتكون عاصمة البلاد، وسكنا لحاكمها، وذلك لحسن موقعها الاستراتيجي في وسط الأرض العراقية، ولذلك حشد المعتصم الأبراج والتحصينات الدفاعية اللأزمة وتميزت عمائرها وأبنيتها بالمتاينة والقوة، واستخدمت كثكنات للجند والفرسان والذين زاد عددهم عن ثلاثة آلاف مقاتل، ومن ثم فقد اضطلعت سامراء بمهام قيادية، وعرفت أنها مستقر المعتصم لإدارة شئون الدولة ومسكنا للراحة والاستجمام لما توافر فيها من الحدائق والبساتين وجمال الطبيعة وسحرها الخلاب.

ومازالت سامراء أقدم المدن العراقية تباهي بآثارها وأطلالها ومعالمها التي تحكي قصة تلك المدينة التي أصبحت مزارا سياحيا لراغبي التمتع بطقسها، والتعرف على تاريخها من خلال مساجدها وقبابها وأطلال سورها القديم.. وسامراء اليوم مدينة تجارية وصناعية مرموقة، وبها تصنع الأدوية من المستحضرات الطبية والأعشاب

الطبيعية، ومن أجل تغطية احتياجات المصنع أنشئت مزرعة خاصة في أبي الغريب لهذا الغرض.

ومن أبرز معالمها الماثلة للعيان هي مئذنة الملوية، ومئذنة الجامع الذي يناه الخليفة المعتصم وفيها مقام الإمامين على الهادي والحسن العسكري.

ومازالت التي سامراء تحمل بين دروبها وميادينها أريج الماضي البعيد الذي يتنفسه قاص زيارتها والذين لا يفوتهم مشاهدة آثارها الإسلامية الشامخة.

فهرس الكتاب